الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي تيسمسيلت

معهد الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

مذكـرة تخرج لنيـل شهادة الـماستر موسـومة بـ:

دراسة لكتاب أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي
تنظير وتطبيق على السور المكية
لمثنى كاظم صادق

إعداد الطالبة:

قعنب فاطمة

إشراف الأستاذة:

د. مرسلي مسعودة

دفعة 2019/2018م

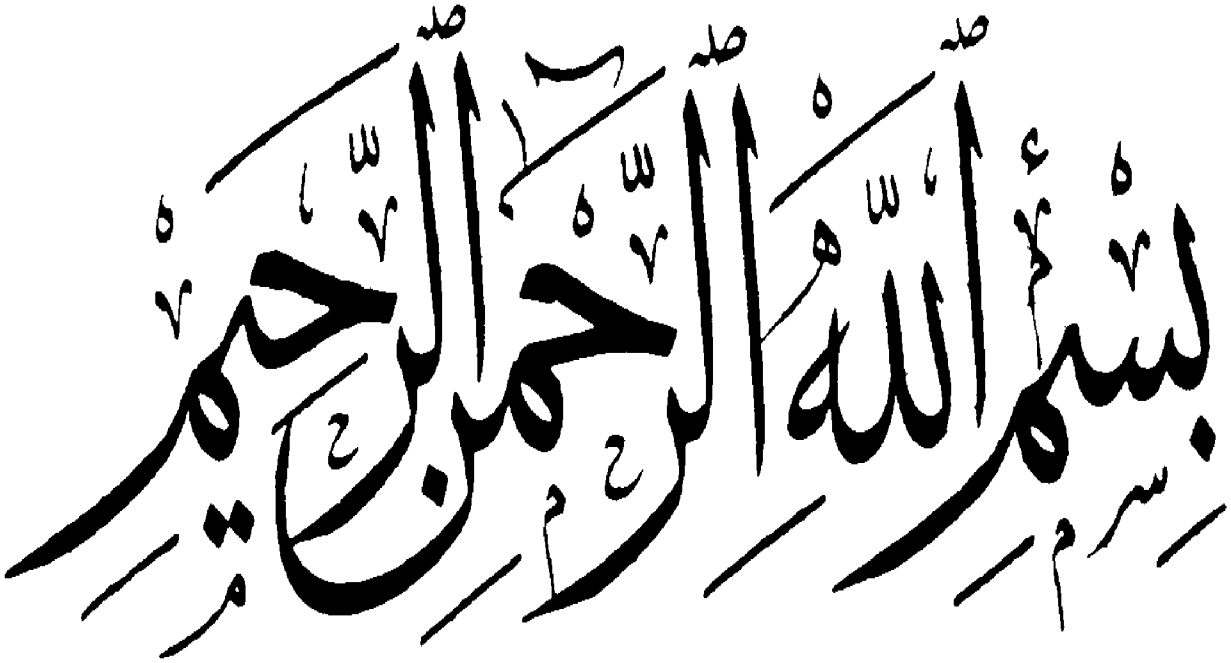
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وإمتنان

الحمد لله الذي أنزل القرآن فيه هدى للناس ، والحمد لله الذي بعث لنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هادياً ومبشراً ونذيراً والحمد لله العظيم الذي علمنا ما لم نكن نعلم ، له الحمد والشكر دائماً .

لأنه موفقنا في دراستنا وميسراً لنا أمور حياتنا والشكر كل الشكر لله على توفيقنا لإنجاز هذا العمل الذي تتوسم من خلاله الرشاد والهداية والخير العميم لنا ولإخواننا الطلبة والساهرين على متابعتنا وإرشادنا .

فالامتنان لمن قدم لنا يد المساعدة وكان لنا العون والسند في مختلف مراحل هذا العمل .

الأستاذة المشرفة "**مرسلي مسعودة**" كذلك لا ننسى فضل العلماء السابقين الذين فسروا وشرحوا لنا ، وعلَّمونا كتاب الله الكريم رضى الله عنهم اجمعين وأرضاهم .

الشكر كل الشكر لمن قدم لنا يد المساعدة ولم يبخل علينا بأي نصح أو توجيه سواء من بعيد أو قريب فلهم منا خالص الشكر والاحترام والتقدير الأهل – الأساتذة الأفاضل – الزملاء الأعزاء ، الأصدقاء المخلصين وكل من ساعدنا .

دعـــاء
اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا
وزدنا علماً وعملاً متقبلاً نسألك اللهم علم الخائفين
منك وخوف العالمين بك.
آمين

إهداء

بسم الله بدأت وبسم الرسالة دونت وبقلمي خططت وبعقلي فكرت.

أهـــدي هـــذه الرسالـــة إلـــى مـــن ربتنـــي صغيـــرة

وتمنـــت لي الخير دائمًا إلى لؤلـــؤة حيـــاتي وقـــرة عينـــي أمـــي العزيـــزة.

إلـــى مـــن علمنـــي الصبـــر ودفعنـــي إلـــى العلـــم والاجتهـــاد

إلـــى سنـــدي ورافـــع رأســـي والـــدي العـــزيـــز.

إلـــى إخوتي وأخواتي

وإلى زوجي

وإلى كل وصديقاتي

فـــــاطمة

مُقَدِّمَةٌ

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، محمدا المبعوث رحمة وهدى وبشرى للعالمين، أما بعد:

فإن للخطاب الحجاجي أهمية بالغة في الدرس اللغوي المعاصر سواء عند الغرب أو العرب لفت انتباهنا وجذب فضولنا وجنّد جوارحنا حتى نحاول النهل من هذا النهر الطيب أكله، الصائغ شرابه لما فيه من مبادئ تعلمنا وتيسر على المرسل تعلم قواعد تساعده في اكتساب ملكة إقناعية تمكّنه من إقناع الآخرين والتأثير فيهم.

في الحقيقة إن النصوص العربية القديمة حافلة بأساليب الحجاج غير أن القرآن الكريم كان المثل الأعظم في ذلك، والمنهل المقصود في كل مشارب اللغة وعلومها هذا عموما، أما من وجهة الخصوص فإن السور المكية التي كان خطابها موجها للمشركين من أجل مناقشتهم، وإثبات انحراف عقائدهم، فكانت السور المكية أكثر الصور القرآنية استخداما للآليات والأساليب الحجاجية ذات القيمة التأثيرية والأهداف الإقناعية، وهو السبب الذي دفعني دون تردد في اختيار هذا الكتاب.

لقد اعتمد الكاتب خطة واضحة، وكان منهجه في طرح أفكاره واضح، مبوبا على فصول، حيث احتوى كل فصل على مباحث، وقد اعتمد في البداية على: تمهيد ضمّنه مفهوم الحجاج وتأريخه.

أما في الفصل الأول فقد تطرّق فيه إلى أسلوبية الخطاب الحجاجي، مفتتحا إياه بتوطئة، ثم تقديم النص بوصفه خطابا معالجا في المبحث الثالث أنواع الحجاج، ثم التواصل الحجاجي في الخطاب القرآني، وبهذا الشكل فإنه اعتمد طرحا واضحا ويسيرا

في تقديم الموضوع، إذا استخدم منهجا تدريجيا في طرح الموضوع، فكان التمهيد مدخلا لفن الحجاج وتأريخه.

أما مباحث الفصل الأول فكانت فيها عناوين للفصول الأخرى، حيث لما تطرّق في الفصل الأول إلى أنواع الحجاج كان الحجاج التداولي والبلاغي أهم أنواعه، فكان الفصل الثاني بعنوان: أسلوبية الحجاج التداولي، وهكذا يكون المؤلف قد حقّقّ مبدأ التدرّج في عرض أفكار الكتاب، مما يكسب مؤلّفه مرونة الطرح، وانسجام الفصول واتّساق أفكارها، فانتقل من العام إلى الخاص، ومن المجمل إلى المفصل، حيث هذه الطريقة تجعل المبتدئ في هذا المجال يتمكن من الاستفادة من طياته والتوغّل في أفكاره دون أن يشعر بصعوبة.

أما الأسلوب المنتهج فكان عميقا نوعا ما وهذا مرده والله أعلم إل نوع البحث، إذ نجد المؤلف في تقديمه للكتاب يشكو من قلة المصادر وندرة المراجع، رغم حرصه على شكر سابقيه من المؤلفين العرب الذين خاضوا قبله في هذا البحر المتباعدة أعطافه والواسعة مشاربه، بادئا بأبي بكر العزاوي في كتابيه (اللّغة والحجاج) و(الخطاب والحجاج) وكذا الدكتور طه عبد الرحمن في كتابه (الحجاج في الدرس الفلسفي) ومحمد العمري في كتابه (الحجاج في الدرس البلاغي).

أما القيمة العلمية التي احتواها المؤلف فقد أبهرتنا خصيصا عندما بحثنا عن مراجع من أجل استخدامها في النقد والتقويم للأفكار المطروحة والأساليب المنتهجة، إذ وجدنا كثيرا من المراجع هي الأخرى اعتمدت على كتاب (أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي) الذي بين يدينا مما عزّز ثقتنا بالمؤلف وأكّد لنا صحة الاختيار

للكتاب المدروس، وهذا راجع إلى منطقيته في الطرح المعتمد على التدرج في العرض والانتقال من الإجمال إلى التفصيل.

أما الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هي نفسها التي واجهت المؤلف وهي قلة المصادر والمراجع، خاصة باللغة العربية، وهذا لحداثة اهتمام العرب بهذه الظواهر رغم أن ما بين أيدينا من جانب تطبيقي في القرآن الكريم ما يفي بالغرض... غير أنه تطرق الكثير من الكتاب بعده لهذا الموضوع سواء مؤلفات أو رسائل جامعية منها الماستر والماجستير والدكتوراه...إلخ.

ولكن صعوبة الحصول على نسخ ورقية بقي رهانا صعبا وعتبة أرغمتنا في الكثير من الأحيان على اللجوء إلى النسخ الإلكترونية ذات الصيغ المختلفة "ب-دي- أف ***PDF***" أو "بوك ***Book***" أو من المواقع المؤصلة والموثقة ذات الاختصاص مثل موقع المعاني، الذي يعرض خدمة المعاجم العربية على النت ***WWW.Almaany.com***.

وفي الأخير أتقدم بشكري الخاص والحار لأستاذتي المشرفة على هذه المذكرة الأستاذة المحترمة **"مرسلي مسعودة"** موجهة لها كل الامتنان على صبرها وصدرها الرحب في تقبل استشاراتنا وتساؤلاتنا المعرفية والأكاديمية والبيداغوجية والمنهجية... فضلا عن نصائحها وتوجيهاتها، وحرصها على متانة البحث وقيمته العلمية والمنهجية.

دون أن أنسى كل الأساتذة الذين كان لهم فضلا علي في مشواري الجامعي، والزملاء الذين كانوا سندا لي في أحلك الظروف.

ومما لا يجوز نسيانه من الشكر القائمين على موقع المكتبة الوقفية الإلكترونية والتي وفّرت لنا المراجع والمصادر التي تعذر علينا الحصول عليها.

سائلة من المولى عزّ وجل العزيز القدير أن يبوأ كلا منهم أجره ومن الله التوفيق.

تيسمسيلت في: ***2019-05-10***

الطالبة: قعنب فاطمة.

بِطَاقَةٌ فَنِّيَّةٌ

بطاقة الفنية:

اسم المؤلِّف: مثنى كاظم صادق.

عنوان الكتاب: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية.

الطبعة: الأولى.

دار النشر: دار عدنان.

البلد: لبنان.

السنة: ***1436هـ-2015م***.

حجم الكتاب: متوسط.

عدد الصفحات: ***234***.

الكتاب الذي بين أيدينا معنون بـــ: "أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية" للمؤلف "مثنى كاظم صادق"، مزين غلافه باللون الأصفر الباهت، حيـــث كتب عليه من الأعلى إلى الأسفل: د. مثنى كاظم صادق بخط النسخ باللون الأسود، وأســـفله عنوان الكتاب: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي بخط الثلث باللون البرتقال، وأسفله تـــنظير وتطبيق بخط النسخ باللون الأسود، ثم على السور المكية باللون البرتقالي، وأسفله إطار داخلـــه صفحة من القرآن الكريم بجانبها حروف متداخل بالحجم الكبير، وأسفله مكتـــوب: قضـــايا لسانية.

أما من حيث الواجهة الخلفية فنجد صورة المؤلف بالحجم الصغير في الأعلـــى الأيمـــن، وفوقها اسم الكتاب بنفس الخط في الواجهة الأولى، وأسفل الصورة اسم المؤلف، أما في المقابل الأيسر تعريف للكتاب.

بطاقة الفنية:

يحتوي هذا الكتاب على أربع وثلاثين ومائتي صفحة (***234***) صفحة، يتضمن: مقدمة، ثم تمهيد، عرّف فيه الحجاج وتاريخه، ثم قسّمه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: أسلوبية الخطاب الحجاجي: فيه توطئة النص بوصفه خطابا، ملامح الخطاب الحجاجي، أنواع الحجاج، التواصل الحجاجي في الخطاب القرآني.

أما الفصل الثّاني: توطئة، الروابط الحجاجية، العوامل الحجاجية، السلالم الحجاجية، الأفعال الكلامية، التكرار.

الفصل الثالث: توطئة، التمثيل، الاستعارة الحجاجية، الالتفات، التقابل، التفريع.

وفي الأخير خاتمة البحث ونتائجه، مصادر البحث ومراجعه، ثم سيرته الذاتية.

مدخل:

1- نبذة عامة لمضمون الكتاب:

هذا الكتاب الذي بين أيدينا –أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية- كتاب قيّم، وله من القيم العملية والمعرفية، ما يجعله مصدرا معتمدا في فن الحجاج، ومنهلا يقصده الطلاب وأصحاب الرسائل الجامعية، حيث عالج الكتاب عموما أساليب الحجاج التداولي وأساليب الحجاج البلاغي الموظفة في السور المكية، حيث قسّم بحثه إلى تمهيد وثلاثة فصول:

1- أما في التمهيد:

فتطرّق إلى مفهوم الحجاج ومختلف المصطلحات المهمة، ذات العلاقة الوطيدة مع الحجاج كـــ: الخطاب، النص، ثم عالج أوجه التقارب والتباعد فيما بينها.

2- أما في الفصل الأول:

فقد حاول المؤلف في هذا الفصل التأكيد على الوظيفة التأثيرية والغاية الإقناعية التي يهدف إليها الخطاب الحجاجي معتمدا على أدلة وشواهد من القرآن الكريم تمثلت في آيات من السور المكية.

3- أما في الفصل الثالث:

عالج المؤلف في هذا الفصل الآليات التداولية الموظفة في حجاج المشركين في الصور المكية، حيث ركز منها فقط على الأهم وهي:

- الروابط الحجاجية: تناول مختلف الروابط التي تخدم السياق الحجاجي مثل: (بل، أو، ثم).
- العوامل الحجاجية: مثل: (كاد، ما، إنما، ما، إلا).
- السلالم الحجاجية: وهي مبدأ التدرج في طرح الحجج.
- الأفعال الكلامية: وهي كلام يتضمن في سياقه توجيهات وتكليفات.

- التكرار: وفيه بيّن الكاتب الدور الذي يلعبه التكرار في شدّ انتباه المتلقي إلى السياق الحجاجي.

4- أما الفصل الثالث:

ففيه تطرّق إلى الأساليب البلاغية المختلفة ودولاها في بناء الخطاب الحجاجي، فركّز على الأهم منها، وهي الأكثر استخداما في القرآن الكريم عموما، وفي السور المكية خصوصا، وهي:

أ- **التمثيل**: وهو إسقاط قضية متفق فيها على قضية أخرى متفق فيها.

ب-**الاستعارة الحجاجية**: وفيها الفرق بين الاستعارة الحجاجية والبلاغية.

ت- **التقابل**: كل أنواع التضاد بين المفردات أو الجمل باستخدام أدوات نفي أو دونها.

ث-**الالتفات**: هو سلاسة الانتقال بالمتلقي من أمر مسلم إلى نتيجة التي يريد المرسل إقناعه بها.

ج- **التفريع**: هو الانتقال من العام إلى الخاص، ومن المجمل إلى المفصل في عرض القضية، إذ تكون الأجزاء حججا تبني النتيجة التي يؤيد المرسل إقناع المتلقي بها.

2- القراءة الدلالية والسيميائية لواجهة الكتاب:

إن صورة الواجهة تنم عن دلالت ترتبط ارتباطا وثيقا بمضمون النص، فهي توجي إلى محتوى البحث من خلال وضع صفحة من القرآن الكريم في وسط الظلام محاطة بأحرف من العربية، فرغم الظلام إلا أن صورة المصحف واضحة، وهذا ما يدل على القيمة العلمية التي يحتويها الكتاب، فهو إنارة للعقل، لأن الحجة هي البرهان على إعمال العقل وجدواه في الحياة.

فواجهة الكتاب تثير في القارئ الحماس وتستفز رغبته وتزيد شوقه إلى الاطلاع على مضمونه.

أما في مقدمة الكتاب فقد ركز المؤلف على تعليل سبب اختياره القرآن الكريم شاهدا على أمثلته ومادة حية للجانب التطبيقي فيه عموما والسور المكية خصوصا، حيث كان تعليله

منطقيا، إذ إن القرآن الكريم عموما فحواه دعوة ربانية إلى الخلق بأن لا يعبدوا سواه، لقوله تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

لذلك فإن الخطاب القرآني هو حجاجي في غالبه، أما السور المكية فهي من باب الخصوص، لأن النص القرآني في الصور المكية موجّه في أغلبه إلى الكفار والمشركين الملاحدة، ليناقش انحرافاتهم ويوجههم نحو العقيدة الصحيحة عن طريق هدم رواسب الشرك وبناء مكانها.

هذا من ناحية الجانب التطبيقي، أما من الناحية النظرية فكان اهتمامه بالموضوع بسبب قلة الدراسات العربية وحداثتها للموضوع رغم أهميتها، وفي الوقت الذي قطع فيه الغرب أشواطا وأشواطا.

كما أفصح عن أهم الصعوبات التي واجهته أثناء البحث وهي:

1- ندرة المصادر في هذا البحث.

2- عدم توفيرها في المكتبات في غالب الأحيان.

3- قلة الدراسات الأكاديمية.

ثم بيّن قيمة اعتماده على توجيها ونصائح المشرف في تذليل هذه الصعوبات.

3- الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه الدراسة وتاريخ البحث فيها:

إن هذه الدراسة هي دراسة لغوية بحتة، لأن المؤلف اهتمّ في مؤَلَّفه بمختلف الأساليب التداولية والبلاغية التي يعتمدها الخطاب الحجاجي للتأثير في المتلقي، ودفعه للإذعان والتسليم بالقضية التي يريد المتلقي إقناعه بها.

أ- نمط الدراسة:

اعتمد الكاتب في دراسة على الجمع والاستقراء، فقام بجمع المعارف ثم تتبع أجزائها في الجانب التطبيقي من القرآن الكريم، حيث كان هذا الجمع خاضع لحسن تمحيص ودقة نظر، حيث أن بحثه كان موسعا مقارنة بمؤلفات مشابهة، إذ إن أغلب هذه المؤلفات اعتمدا الصادق

1- سورة الذاريات، الآية56.

مثنى كاظم كفصول، وفي كثير من الأحيان كمباحث، مما جعل بحثه جامعا وفي نفس الوقت مانعا.

ب- تاريخ البحث:

رغم أن طبع الكتاب يعود تاريخه إلى عام قريب -2015-، لكننا أثناء تتبعنا ونقدنا للكتاب والتحقق من المادة المعرفية الموظفة فيه تصادفنا مع كثير من المؤلفات اعتمدته كمرجع، فكل مرة نجده حاضرا في تهميشاتها وإحالاتها، لاسيما في الرسائل الجامعية (ماستر، ماجستير، دكتوراه)، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على:

- **سبقه لكثير من المؤلفات المعاصرة المشابهة.**
- **على حداثة الدراسة العربية الجادة والأكاديمية.**
- **عدم تجلي أهمية الخطاب الحجاجي عند العرب إلا في السنوات الأخيرة.**

4- الدواعي التي جعلت المؤلف يكتب هذا الكتاب:

لقد أفصح المؤلف صادق مثنى كاظم عن سبب اهتمامه بموضوع الدراسة وهو:

- إدراكه لأهمية الدراسة.

- الفراغ الرهيب عند العرب من الدراسة التداولية والبلاغية في الخطاب الحجاجي مقارنة بالغرب.

- كثرة ورود الأساليب البلاغية والتداولية ذات الوظيفة الحجاجية والغاية التأثيرية في القرآن الكريم عموما والسور المكية خصوصا.

- إن إسداء المؤلف الشكر لأصحاب أهم المصادر والمراجع التي اعتمدها ينم عن تحليه بالأمانة العلمية والتزامه بها، حيث اتّضح ذلك فيما بعد أثناء دراستنا للمؤلف في دقته في الإحالات، وكثرة المراجع التي اعتمدها على اختلاف أشكالها:

- معاجم.
- مصادر ومراجع عربية وغير عربية.

- مجلات ومقالات ومداخلات وملتقيات جامعية.
- رسائل جامعية (ماستر، ماجستير، دكتوراه).

فقد طبّق المؤلف (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها)، حيث فاقت 200 مصدر.

رغم أن مهمة المؤلف كانت في أغلب الأحيان جمع واستقراء، لكنه لمسته الإبداعية ظاهرة في المؤلَّف، وهذا يتّضح في جمعه بين مؤلفات عامة، وأخرى متخصصة، فأبدع أيما إبداع في صف هذه المعارف الجمة ورصفها وإخضاعها لخطة البحث وتذليلها لخدمة هدف الدراسة، وهذا ما نلمسه في تدرجه في طرح الأفكار والمعارف.

رغم أن دراسة البحث معمقة ومتخصصة، غير أن طريقة عرضه للمعارف تسمح للمبتدئ فهم المحتوى دون جهد وعنا وهنا تظهر قمة الإبداع.

مَدْخَلٌ

عَرضٌ وَدِرَاسَةٌ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

أسلوبية الخطاب الحجاجي

المبحث الأوّل: مفهوم النص والخطاب والمقارنة بينهما.

المبحث الثّاني: ملامح الخطاب الحجاجي.

المبحث الثّالث: الخطاب الحجاجي ضوابطه وطبيعته.

المبحث الرّابع: أنواع الحجاج.

الفصل الأول:

أسلوبية الخطاب الحجاجي

الحجاج مفهومه وتاريخه:

أ-مفهومه:

يتراوح معنى كلمة حجاج في لسان العرب بين القصد والخلاف، أما الحجة فهي البرهان حسب نفس المعجم، أمّا "محمد علي التهانوي" صاحب كشّاف اصطلاحات الفنون فيرى الحجة بمعنى الدليل، ومنه يمكن القول أن الحجاج أحد أوجه الخطاب الإنساني المكتوب والمنطوق.

وهذا ما يقارب جدا معنى لفظ الحجاج في الفرنسية، ***argumentation***، فمثلا حسب قاموس روبير الكبير ***(Le grand Robert)***: «هو القيام باستعمال الحجج أو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، أو هو فنّ استعمال الحجج أو الاعتراض بها أثناء مناقشة معينة»[1].

ورد في قاموس (كامبرج) أن: «الحجاج هو الحجة التي تعلّل أو تبرر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما»[2].

غير أن بعض الباحثين والمؤلفين العرب وكذا بعض المعاجم العربية ترى أن الحجاج يشترط عنصر الخصومة والخلاف، كما يرى التهانوي الحجة بأنها: «مرادفة الدليل المركب من المقدمات المسلمة عند الخصم، المقصود منها هو إلزام الخصم وإسكاته»[3].

1- Le grand Robert, Dictionnaire de le langue française, Paris, 1989.

2- Cambridge CAMBRIDJE Advanced Learnes, Dictionary, Combridje University Pres 2nd Pub, 2005, P.56.

3- محمد علي التهانوي، كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم، تح. رفيق العجم وعلي دحروج، ط.1، ج.1، ص622.

لذلك يجدر بنا أن نعترف بأن مفهوم الحجاج: «ملتو وصعب تحديده بدقة وهذا راجع لتشعّب مجالات استعماله»[1].

ولكون الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحجة المنطقية بالأساس وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم، ولعل أدلّ هذه المفاهيم على ذلك وأحضرها مفهومان[2]:

«الأول: طريقة تحليل واستدلال بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك.

الثاني: عملية اتّصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين.

فيما يرى عبد الله صولة أن الباعث والمحرك للحجاج هو الاختلاف»[3].

لقد تناول الباحثون مصطلح الحجاج من زاويتين:

«**الأولى**: تعنى بدراسة العلاقة بين المتكلم والمتلقي وما تحمله هذه العلاقة من استعمال آليات الإرسال ومراعاة حال المتلقّين.

أما الثانية: فتعتبر الحجاج بنية نصيّة وهنا يجب التركيز فقط على الجوانب اللغوية، مما يجعل الحجاج يظهر بمظهره التواصلي»[4].

ب- تاريخه:

إن الثورة التي شهدها الدّرس اللّغوي والتي عرفت بروز اهتمامات بفروع لغوية لم يكن لها حظ قبل هذا الوقت، فمن خلال الحقل الإنساني عامة والنقدي واللّساني خاصة برز الاهتمام بالحجاج في الدّرس اللّغوي والبلاغي المعاصر، فقد خضع الحجاج البلاغي لرغبة المتكلم وإدارة المتلقي وخضوع حجّته للتراتبية والتنظيم واشتماله على الأبعاد الاستدلالية والإمتاعية، كما جمع بين البيان والبديع، لذا فإن الحجاج تداولي لأنه يرتبط بسياق اجتماعي

1-حياة دحمان، تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجا، شهادة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012-2013، ص17.

2- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، ص44.

3- المرجع نفسه، ص106.

4- ثابتي، الحجاج في رسائل بن عباد الدندي، مجلة الخطاب، دار الأمل، الجزائر، ع.2، 2006م، ص286.

كونه يعتمد على الإرادتين (المرسل- المتلقي) والمتلقي حر في الاقتناع من عدمه، مما يلزم المرسل بذل جهد أكبر قد يوجب عليه الإحاطة ببيئة المتلقي، وكذلك فهم حاجياته والعلم بمسلماته حتى يستنبط منها حججا وأدلة تعتبر بالنسبة –المتلقي- قاطعة.

إنه لمن الصعب التتبع الدقيق لجذور نظرية الحجاج في الفكر الغربي والعربي قديما وحديثا، فنجد أرسطو مثلا قد جعل الحجاج قاسما مشتركا بين كل من الخطابة والشعر والجدل، ففي كتابه "الخطابة" اتّضح معنى البلاغة الحجاجية لأنه تناول الحجاج من الزاوية البلاغية والجدلية، فأما الأولى فربط فيها الحجاج بالإقناع والثانية فرأى من خلالها أن الحجاج عملية تفكيرية تقوم على أسس الحوار.

فالحجاج «الجدلي عنده يدخل في قضايا الفكر، ويتم بين طرفين الأول سائل والآخر مجيب، لكن الحجاج الخطابي لا يقوم على أساس السؤال والجواب لأنه قول ينشئه الخطيب وحده، والغرض المقصود منه هو الإقناع بحكم، وإلى الحكم يستند الفعل، والحكم يمثل جوابا عن سؤال يكوّن استشارة الوضع الخلافي في المنشئ للحجاج عموما»[1].

في هذا الفصل يتبين مما يمكن لمسه من حجاج على المستوى النّصي وعليه فإن هذا الفصل يعالج النص بوصفه خطابا حجاجيا لذلك وجب علينا تتبع كل من:

- مفهوم النص.
- مفهوم الخطاب.
- المقاربة بين المفهومين.
- فروع الخطاب الحجاجي.
- علاقة الحجاج بالتواصل.
- التواصل الحجاجي في القرآن الكريم.
- النص بوصفه خطابا.

1- أرسطو، الخطابة، ترجمة عربية قديمة، وكالة المطبوعات ودار القلم، بيروت، ط.1، 1979، ص.8.

المبحث الأول: مفهوم النص، الخطاب، والمقارنة بينهما:

1- مفهوم النّص:

ورد في لسان العرب لابن منظور نصص: النّص: رفعك الشيء: نصّ: الحديث بنصّه نصّا. رفعه وكل ما أظفر فقد نصّ. يقال نصّ الحديث إلى فلان أي رفع إليه، ويقال نصت الضبية جيدها أي رفعته، والمنصة فتظهر عليه العروس فتقعدها على المنصة، فهي تنتصّ عليها لترى من بين النساء[1].

أما في قاموس المعاني: «النص: هو الكلام الذي لا يحتمل التأويل، نصص المتاع: جعل بعضه فوق بعض»[2].

وحتى يتضح الأمر أكثر كان من الضروري معرفة الفرق بين النص والخطاب حيث عرفه ابن فارس: "الخطبُ: الأمر، والخطابُ: كل كلام بينك وبين آخر"[3].

أما الجرجاني في تعريفه للنص: «ما ازداد وضوحًا على الظاهر لمعنى المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسِنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي، كان نصًا في بيان محبته»[4].

2- مفهوم الخطاب:

أما تعريفه للخطاب: «أنه قياس مركب من مقدمات ذات مقبولية تصدر من المرسل المعتقد فيه والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعل الوعاظ»[5].

1- ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2000، مادة (ن ص ص).

2- نصص **WWW-ALMANY.COM**.

3- ابن فارس، مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ط.2، ج.1، 295، مادة خ ط ب.

4- الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1983، ج.1ص241.

5- **www.alnodom.com** موقع للدراسات وخدمات البحث العلمي .

إننا نجد صاحب كتاب التعريفات قد مال بتعريفه إلى حد كبير نحو تعريف الحجاج عندما تطرق إلى المصطلحين "مقبولية" و"ترغيب" لأنهما يتعلقان بالامتناع وهذا ما يدعمه تعريف خثير أحمد في مقال نشر بجامعة عين شمس سنة **2007** بعنوان وسائل التأثير والإقناع في الخطاب السياسي الجزائري المنطوق قائلا: الخطاب فضاء واسع يستهدف فيه الخطيب حمل المخاطب على الاقتناع وذلك بالتوجه إلى العاطفة بوسائل الاستمالة والعقل.

أما أرسطو في كتاب البلاغة فلا يرى حصر الخطاب في الوظيفة التأثيرية الإقتناعية بل يتعداها إلى عنصرين آخرين سماها بالضروب الخطابية ***épidictique*** وهي: الضرب الاستدلالي ***judiciaire*** والضرب القضائي والضرب الاستشاري ***délibératif*** حيث قام بتقسيم ضروب الخطابية إلى ثلاثة ضروب على عدة أسس أهمها[1]:

1- طبيعة الخطاب: مدح، ذم، الحكم، استشارة واتخاذ القرار.

2- القيم المساعدة: الجمال، الفضيلة، القبح، العمل والظلم، المفيد، الضار، السعادة.

3- زمنية الخطاب: الماضي، الحاضر، المستقبل.

4- الموقف الخطابي: المدح، الذمأمام العموم: المحكمة، جمعية...

5- إجراءات الحجاج: التعظيم، القياس، المظهر ***enthymème***، المثال.

6- نوع الخطيب: سفسطائي، متهم، مواطن.

7- شكل الخطاب: خطبة في المدح أو الرثاء أو الهجاء، مرافعة خطبة.

8- الموضوع الذي يتناوله: القيم، البراءة أو الإدانة، الميزانية، الأمن، الاقتصاد، القانون.

وقد نظم فيليب بروتون وجيل جوتيه هذه الضروب الثلاثة وفق الأسس السابقة الذكر في جدول:[2]

1- بروتون فيليب وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر. محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العالمي، ط.1، 2001، ص30.

2- المرجع نفسه، ص30.

ضرب الخطاب	طبيعة الخطاب	القيم المساعدة	زمنية الخطاب	الموقف الخطابي	إجراءات الحجاج	نوع الخطيب	شكل الخطاب	الموضوع الذي يتناوله
الاستدلالي	المدح، الذم	الجمال، الفضيلة، القبح	الحاضر	المدح أمام العموم	التعظيم	سفسطائي	خطبة في المدح أو الرثاء	القيم
القضائي	الحكم	العدل والظلم	الماضي	المحكمة	القياس المضمر *enthyméme*	متهم أو مشتك	مرافعة	البراءة، الإدانة
الاستشاري	استشارة واتخاذ قرار	المفيد، الضار، السعادة	المستقبل	الجوارا، جمعية وطنية	المثال	مواطن	خطبة	الميزانية، الأمن، الاقتصاد، القانون

أما فان دايك في لسانيات النص فقد قسم الخطاب إلى قسمين الخطاب الدلالي والخطاب التداولي[1].

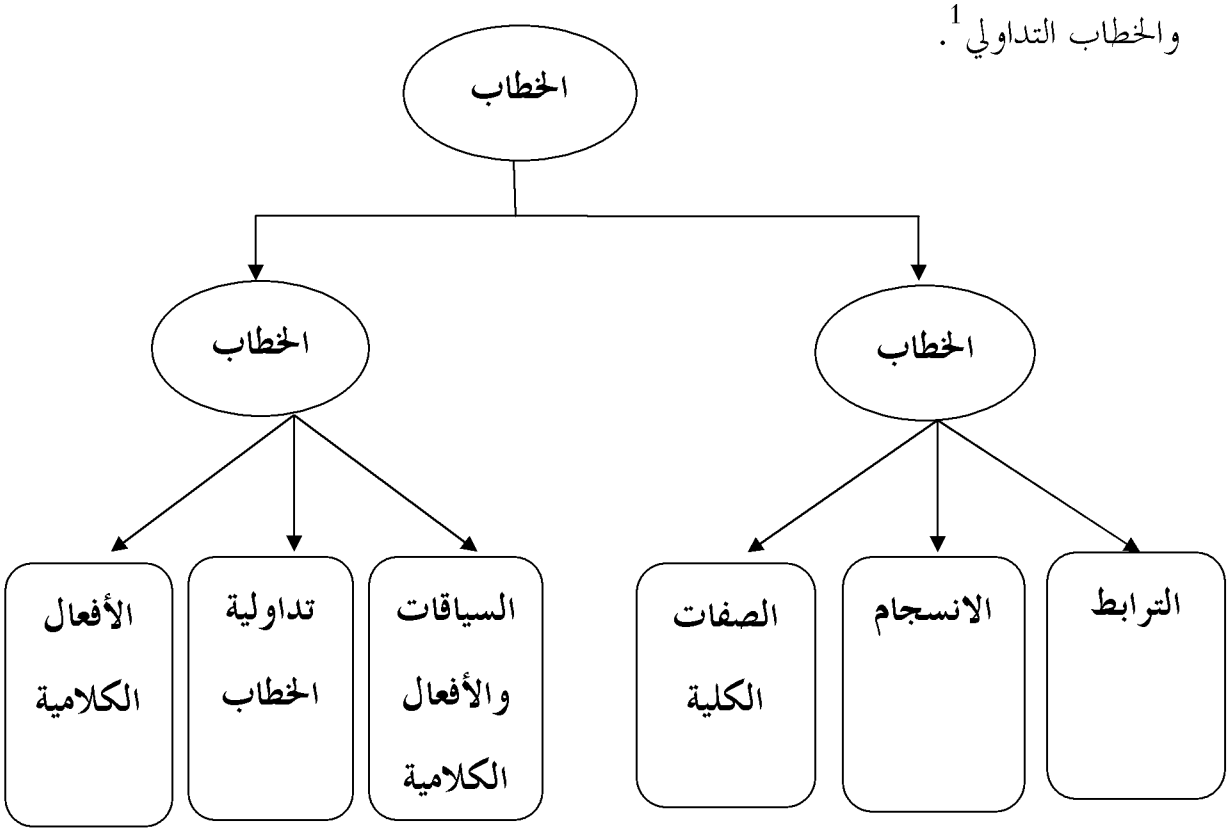

1- محمد خطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي للنشر، ط.1، 1991، ص27.

ولم يزل رولان بارت يربك النص بالخطاب حتى وصل الأمر به إلى أن حصر النص في كونه خطابا نافيا وجود نص دون خطاب وهذا ما وافقه الكثير مثل كرستيفا جوليا التي قالت: «إنّ النص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العالم والإيديولوجيا السياسية ويتنطع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها، ومن حيث هو خطأ بمتعدد، ومتعدد اللّسان أحيانا ومتعدد الأصوات غالبا»[1].

ومن الملاحظ لمن يتبع معاني الخطاب وتعريفاته أنه سيدرك صعوبة تحديد تعريف جامع مانع له وهذا عائد إلى كثرة المدارس النقدية والاتجاهات اللسانية حيث كل مدرسة وكل اتجاه له رأي في ذلك حيث انتهى دومينيك مانغينيو بما يلي[2]:

1. الخطاب مرادف للكلام عند سوسير وهو المعنى الجاري في اللسان.
2. هو الوحدة اللسانية التي تتعدد فيها الجملة وتصبح مرسلة كلية أو ملفظة.
3. للخطاب ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجملة تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض.

إن نص القرآن نص خطابي لأنه يقتضي التأثير والإقناع لأن الخطاب في أعم مفاهيمه كل نص كل نص يتعلق بمرسل أو متلقي، مع توفر مقصدية التأثير بأي شكل من الأشكال، وإن من مبادئ الخطاب القرآني أنه يقوم على مبدأين مهمين هما: "الهدم ثم البناء" كما وردت كلمة الخطاب في القرآن بعدة معاني غير أن مصبها دوما في الدعوة والكلام البيّن ذو القصد الواضح[3].

1- جوليا كريستيفا، علم النص، تر. سعيد حسن بحري، دار طوبا للنشر، ط.2، المغرب، ص13.

2- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر. محمد يحياتن، الجار العربية للعلوم، ط.1، 2008، ص.9-10.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تطبيق وتنظير على السور المكية، ط.1، دار عدنان، لبنان، 1436هـ-2015م، ص38.

فقد وردت كلمة الخطاب في القرآن الكريم في سورة ص الآية 20[1] اسما وجـــادت في سورة الفرقان آية 63[2]فعلا.

فلو جئنا إلى ربط المصطلحات الثلاث: نص، خطاب، وقرآن، لوجدنا الخطاب القرآني يحتوي النص والنص ينتج الخطاب، فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقة المشـــتركة أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق.

1. متلق خاص: وهو متلق داخل النص.
2. متلق عام: وهو متلق خارج النص.

حيث يشترك الملتقيان في كونهما مخاطبان من داخل النص، كما يميـــل الخطـــاب القرآني إلى ثلاث مرجعيات[3]:

1. مرجعية الدال: يكون فيها النص على مثال مرسله.
2. مرجعية المدلول: يكون فيها النص على مثال متلقيه.
3. مرجعية النص نفسه على نفسه: هذه الحالة يكون النص دالا ومدلولا، محددا زمنه الخاص، مفتوحا على زمن المتلقين دون تحديد[4].

يتأثر الخطاب بجملة من الأمور منها:

1. شكل العلاقة بين المرسل والمتلقي: فالعلاقة بينهما تحكم أسلوب الخطاب فقـــد يختلـــف خطاب المعلم والمتعلم مع خطاب الإمام للمصلين.
2. سياق الكلام: فالمقام يحدد كثيرا شكل الخطاب ويؤثر فيه بشكل كبير.

فمثلا قد يكون المرسل نفسه غير أن الخطاب قد تغير مضمونه شكله وأسلوبه.

1- سورة ص، الآية 20.

2- سورة الفرقان، الآية 63.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص38.

4- روبارت بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر. تمام حسان، عالم الكتب للنشر، ط.1، 1998، ص.6.

3. لغة الخطاب: فاللغة لها دور كبير في خلق جسور العلاقات بين طرفي الخطاب كون اللغة لها عدة وظائف منها التأثير والاقتناع[1].

نرى الكاتب قد أصاب في تركيزه على شكل العلاقة بين المرسل والمتلقي لأنها أهم المعايير التي تؤثر في شكل الخطاب، وهذا ما ورد في كتاب مقالات في الأسلوبية " فقد يكون إقامة علاقة بين طرفي الخطاب للهدف الرئيسي من الخطاب أصلا وهذا يبرر إعطاءه كثيرا من الاهتمام"[2].

المبحث الثاني: ملامح الخطاب الحجاجي:

من المؤكد أن الهدف الأسمى للخطاب التوجيه بقول أطروحة وكي يتحقق هذا الهدف يجب أن يتوفر على مجموعة من الملامح. ولكل هذه الملامح سمات، لذلك كان الخطاب الحجاجي مختلفا عن بقية الخطابات لأنه خطاب موجه وهادف يتم للجوء فيه إلى الأدلة والحجج والمنطق والعقل معتمدا على ظروف تداولية وسياقات معينة. فليس كل خطاب خطابا حجاجيا لأن كثير من الأقوال لا نجد فيها أي تأثير على المتلقي بل حتى إن المرسل لا تكون لديه نية الإقناع والتأثير، فلا يكون حجاجيا حتى وإن كانت تحتوي على حجج عرضية، ليس الغرض منها الحجاج والاستدلال على موقف ما.

«إن الخطاب الحجاجي لا يمكن أن يعتمد على ميل الأغلبية وإنما هو الخطاب الذي يهدف إلى استمالة الجمهور إلى الحجة»[3].

والنص الحجاجي هو خطاب لغوي تواصلي تدخل فيه مجموعة من العوامل التي تعتمد على تقريب وجهات النظر لدى المرسل إلى المتلقي، لذلك يجدر بنا تقسيم ملامح الخطاب الحجاجي:

1- سمات النص الحجاجي:

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص38.

2- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، إتحاد الكتاب العرب للنشر، دمشق، سوريا، 1990، ص220.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص40-41.

على المرسل أن يعتمد على ظاهرتين: الأولى مدعيه وهي الهدف المنشود، أما الثانية فهي مجموعة من التساؤلات يجب أن يحاول توقعها ثم الإجابة عنها ذهنيا.

لذا اتسم النص الحجاجي بعدة سمات أهمها:

أ- القصد المعلن: هو مجموعة الإيحاءات تعبر عن الفكرة التي يريد المرسل إقناع المتلقي بها.

ب- التناغم: وتعتمد على الانفعال الذي يجب إحداثه في ذات المتلقي من طرف المرسل موظف سحر البيان.

ت- الاستدلال: هو الترتيب العقلي للعناصر اللغوية في سياق عقلي معتمدا على تطور منطقي.

ث- البرهنة: تتمثل في آليات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأقرب مثال.

كما أن من سماته أخرى[1]:

1- محاربة أفكار الآخر.

2- الانتصار لأفكار النص وأطروحته.

3- إشراك الجمهور وإشهاده على مواطن الطرح[2].

المبحث الثالث: الخطاب الحجاجي ضوابطه وطبيعته:

1- ضوابط الخطاب الحجاجي:

حتى يتمكن المتلقي من تقاسم الاعتقاد مع المرسل يجب أن تتوفر في الخطاب بعض الضوابط التي تفرق النص الحجاجي على سواه من النصوص والخطابات وأهم هذه الضوابط:

1- أن يكون الحجاج في إطار ثوابت معينة متفق عليها في سياق المرسل والمتلقي.

2- أن تكون مفاهيم المصطلحات مضبوطة ولها نفس الدلالة عند كل من طرفي الخطاب.

3- أن لا يكون كلام المرسل مخالف لأفعاله أو في بعض الأحيان حتى بعض أقوله مخالفة لأخرى.

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص41.

2- المرجع نفسه، ص41.

4- أن تكون الأدلة والحجج الأمثلة من نفس الثقافة والبيئة للمتلقي والمرسل.

5- امتلاك المرسل لثقافة واسعة (كل ما زادت الثقافة زادت الحجة وأصبح الخطاب أكثر إقناعا)[1].

2- طبيعة الخطاب الحجاجي:

إن الأثر الفعال الذي أصبحت تلعبه بلاغة الخطاب الحجاجي في التأثير في أحوال وعقائد الناس وجذبهم إلى الطرح الموجود في النص خاصة إذا كان هذا الخطاب يخص موضوعات اجتماعية، فإن صاحب الخطاب ملزم بتنظيم حجج مقنعة ذات أسلوب لغوي جميل ومؤثر، وعليه فإن طبيعة الخطاب الحجاجي تأتي على حسب نوع الجمهور.

حيث تمثلت طبيعة الخطاب الحجاجي فيما يلي[2]:

1- التفاعل: ويعتمد على الثنائية الأساسية: (الادعاء/ الاعتراض) بين المرسل والمتلقي والذي يتمثل في اختلاف اعتقاد الطرفين.

2- التأويل: وهو فهم النّص بداية ظاهرا ثم إعادة فهمه عن طريق تأويله إلى المعن المقصود.

3- الاعتقاد: ويحصل عن طريق السعي لتغيير أفكار المتلقي، لكن ليس من باب الغرض وإنما بفضل التواصل لاسيما إذا كانت الأفكار تخص العقائد، كون الاعتقاد لا يمثل مسلمات عند كل الناس.

4- تغيير السلوك: ويظهر ذلك من خلال ملاحظة تغير في سلوك المتلقي بناءا على حصول تغيير في أفكاره بسبب تأثره بحجج المرسل.

هنا يمكن القول أن حجة المقدمة آتت آكلها وبلغت ثمرتها[3].

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص43.

2- المرجع نفسه، ص44.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص45.

هنا نجد المؤلف قد اتفق كثيرا مع رؤية الدكتور طه عبد الرحمان في كتابه عندما عرف الخطاب الحجاجي قائلا عنه: "كل منطوق موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[1].

المبحث الرابع: أنواع الحجاج:

أولا: الحجاج البلاغي:

هو الحجاج الذي يعمد إلى إقناع المتلقي عن طريق إتباع فكره ومشاعره معا عن طريق الحجاج بالصور البيانية والأساليب الجمالية، حيث يستخدم البلاغة أداة رئيسية في الخطاب، حيث ويجعل البلاغة مجالا له.

كما يعتبر الحجاج البلاغي فنا للتعبير لحيازته أدوات قوية التأثير، ويقصد بقوة التأثير أن يترك الأسلوب أثره في نفوس القارئين أو السامعين[2].

و"لما كانت الوظيفة المثلى للحجاج هي الإقناع عن طريق حجج وبراهين، فإن البلاغة في معظم تعريفاتها تصب في معاني الوضوح والإبانة لذلك فعندما يتزاوج المصطلحين (الحجاج والبلاغة) فإنها يعطيان البرهان الواضح أو الإقناع البائن الفصيح..."[3]، حيث ورد معنى بليغ في لسان العرب: "رجل فصيح وكلام فصيح أي بليغ ولسان فصيح أي طليق وأفصح الرجل القول أي أبان"[4].

نجد المؤلف قد أولى أهمية كبيرة للحجاج البلاغي وهذا ما يتوافق مع عديد المؤلفات التي تطرقت إلى الحجاج ولعل أهم هذه المراجع والمصادر أبو عمرو الجاحظ في كتابه الشهير البيان والتبيين بتحقيق الدكتور عبد السلام هارون إذ نجده التفت كثيرا على الحجاج مثل قوله «قال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر

1- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط.1، ص213.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص.46.

3- المرجع نفسه، ص.47.

4- ابن منظور، لسان العرب، ج.1، ص588، مادة (ب، ل، ي، غ)

بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر»[1].

ثانيا: الحجاج التداولي:

يجدر بنا قبل الخوض في الحجاج التداولي أن نحيط بمعاني التداولية.

1- تعريف التداولية:

أ. ورد في لسان العرب لابن منظور: دوّل: العقبة في المال والحرب، وقيل الدُولة بضم الدال والدَولة بفتحها في الحرب، الفعل. وقال الزجّاج: الدُّولة اسم الشيء الذي يتداول[2].

ب. أما في معجم أساس البلاغة للزمخشري قال: «دالت له الدولة. ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوّهم: جعل الكرّة لهم عليه. وعن الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها. وفي مثل " يدال من البقاع كما يدال من الرجال " وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد. واستدلت من فلان لأدال منه. واستدل الأيام: استعطفها»[3].

1- الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1423 هـ، ج.3 ، ص88.

2- ابن منظور، لسان العرب، ج.11، ص252، مادة (د.و.ل)

3- الزمخشري، أساس البلاغة، تح. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م، ج.1، ص303.

عَرضٌ وَدِرَاسَةٌ

الفَصْلُ الثَّانِي

أسلوبية الحجاج التداولي

المبحث الأوّل: الروابط الحجاجية.

المبحث الثّاني: العوامل الحجاجية.

المبحث الثّالث: السلالم الحجاجية.

المبحث الرّابع: الأفعال الكلامية.

المبحث الخامس: التكرار.

الفصل الثاني:

أسلوبية الحجاج التداولي

تمهيد:

هذا الفصل يهتم بالمفاهيم اللّسانية التي تدور حول بنية النص التداولية ولاسيما في مدونة مفعمة بالأساليب الحجاجية التي تتعالق فيما بينها حجاجيا، لذا ركز المؤلف في هذا الفصل على الروابط الحجاجية وما تحمله من دلالات حجاجية خاصة بالتداول، حيث قسّم هذا الفصل إلى خمسة مباحث:

- الروابط الحجاجية.
- العوامل الحجاجية.
- السلالم الحجاجية.
- الأفعال الكلامية.
- التكرار.

المبحث الأول: الروابط الحجاجية:

1- الروابط لغة:

تدور أغلب معاني الربط في المعاجم اللّغوية حول التوثيق والشد والتثبيت، فجاء في لسان العرب: " ربط: ربطت الشيء أربطهُ ربطاً، والرباط: ما يشد به"[1]، أما في الاصطلاح كما جاء في قاموس المعاني: رابطة ج.رابط ورابطة وهي العلاقة والوصلة بين الشيئين.

مصدر رابط ورابطة هو الربط، فنقول كان ربطه مُحكما: شدُّه، رباطه، وثاقه...[2]

ومن هذا نجد أن أغلب المعاجم العربية متّفقة في حصر معاني الربط في الشد والوثاق والتثبيت.

1- ابن منظور، لسان العرب، ج.1، ص414، مادة (ر ب ط).

2- ***WWW. Almaany.com***(ر ب ط).

2- الروابط اصطلاحا:

اعتمد المؤلف التعريف الاصطلاحي لكلمة الروابط عند معجم المصطلحات النحوية والصرفية وهي العلاقة التي تحصل بين شيئين بعضهما البعض ويتعين كون اللاحق منهما متعلقا بسابقه[1].

3- الرّوابط الحجاجية:

الروابط الحجاجية هي تلك المؤشرات اللّغوية الخاصة بالحجاج توظف من طرف بنية الأقوال اللّغوية في الخطاب الحجاجي من أجل تحديد التسلسلات الخطابية، فلا يمكن معرفة قيمة الروابط الحجاجية إلا من خلال دورها في الربط الحجاجي بين قضيتين وتتفاعل هذه الروابط داخل نسيج الخطاب، لتخلق دلالة حجاجية، مما يجعل الوقوف عندها ذو أهمية كبيرة، لذا تعد الروابط مؤشرا مهمته القيام بعمليات حجاجية[2].

وتمثّل الروابط علاقة الشخص بأفعاله وما يتركه من تأثير في المتلقي، وهي تؤدي دورا مهما في عملية الإقناع[3]، فهي تنقل الملفوظ من بنية الإبلاغ والإخبار إلى بنية الحجاج التي تعتبر أهم ما ترتكز عليه الدلالة التداولية للحجاج في دراستها للغة، وبالتالي تحقق تلاحم أجزاء النص وتساهم في اتّساقه وانسجام أفكاره، فتجعل الخطاب وحدة متماسكة كونها تقع بين الجمل، ومن هذه الروابط.

1- الرابط "بل":

الأصل في "بل" تأتي للإضراب والعدول عن شيء بشيء آخر، إن وقعت بعد كلام مثبت خبرا كان أو أمرا. وتأتي للاستدراك بمنزلة "لكن" إن وقعت بعد نفي أو نهي، ولا يعطف بها إلا بشرط أن يكون معطوفا مفردا غير جملة، ما أكّده النحو الوظيفي.

وإن هي وقعت بعد الإيجاب أو الأمر كان معناها سلب الحكم عما قبلها، حتى كأنه مسكوت عنه وجعله لما بعدها، نحو قام سليم بل خالد وقد تزاد قولها "لا" بإثبات أو نفي[4].

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص71.

2- المرجع نفسه، ص71-72.

3- نور الدين بوزناشة، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجلة العلوم الإنسانية، ع.44، 1430هـ، ص74.

4- نعيمة سعدية، الربط حروفه ومعانية من منظور اللسانيات الحديثة، مجلة جامعة خيضر، بسكرة، ص109.

ومن وظائفها أنها تفيد رد الخطأ السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب وتتحد أوجه التشابه بينهما وبين حرفي العطف لكن، ولا، في كونها كلها تربط المفرد على المفرد لا الجملة[1].

ولقد اشترط النحاة للعطف بها عدّة شروط أهمها[2]:

أ/ أن يكون معطوفها مفردا غير جملة.

ب/ أن تقع بعد إثبات أو أمر.

ج/ بعد إيجاب أو نفي.

إن ما يهمّنا في بل هو «إضرابها الانتقالي، الذي يفيد الترك، فيسهل الانتقال من حجّة إلى حجّة، فهي تقيم علاقة بين خطابين حجاجيين ترتبطان بنتيجة، فتصور لنا الدلالة الحجاجية لأنه عادة ما يكون مباينا لما قبله فيثير انتباه المتلقي ويشده إلى الإذعان والتأمل، خاصة إذا ما كانت الحجة الثانية أشدّ قوة، فالرابط الانتقالي الإضرابي "بل" يعد المتلقي ذهنيا وإصغائيا، ويزودها عادة بمعرفة لم يكن يعرفها من قبل، لأن الرابط غالبا ما يكشف إستراتيجية المرسل أمام المتلقي»[3]، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**﴾[4].

هنا في هذه الآية ساهم الرابط "بل" «في تحقيق نوع من الفاعلية التواصلية لتعاضد الحجة في مركزية النسق الفعلي واشتراك الجمهور من خلال اللجوء إلى الله حتى لو لم يكن يؤمن به، وقد عزّز الرابط "بل" في هذه الآية الدلالة الحجاجية لدعوة الناس الله وحده دون سواه في المحن والشدائد»[5].

كما شكّل الرابط الحجاجي "بل" في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا**

1- خميسة وطار، حروف العطف في العربية وتطبيقات من القرآن الكريم، مذكرة ماستر، 2012، ص41.

2- عبد الكريم مجاهد، دراسات في اللغة والنحو، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط.1، 2006، ص175.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص74-75.

4- سورة الأنعام، الآيتين:40-41.

5- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص76.

أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1]. علاقة حجاجية قادرة على إقامة بنية مركبة جاءت في الأولى تصف حواس هؤلاء وجوارحهم بأنها معطّلة، مما يجعلهم في مرتبة واحدة مع الحيوانات، مما يسوغ مآلهم في جهنّم، فهنا الرابط "بل" لم يأتي للنفي ولا الإضراب إنما جاء للانتقال من إخبار إلى إخبار أشدّ منه تأكيدا، حيث لم يفد الرجوع عن الخبر الذي قبله، بل بيّن شدة ظلال الكفار على جهة المبالغة، كون الأنعام تدرك بعض الأمور بالفطرة لم يدركها الكفار بعقولهم.

كما يمكن بواسطة الرابط الحجاجي "بل" التدرّج في الحجج، إن العلاقة التخاطبية الحجاجية لا تتم في صورتها الكلية إلا باختيار المرسل القالب المناسب لخطابه لأنه يريد أن يستميل المتلقي إليه كقوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (17) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (18) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (19)** ﴾[2].

هنا ربطت الرابطة "بل" بين مركبين حجاجيين فرعيين، حث تمثل الأولى في السؤال المستهل بأداة الاستفهام "هل" حول حديث وأخبار فرعون وثمود، ثم جاءت "بل" بعدها على شكل إضراب انتقالي من الفضيع إلى الأفضع وكأنه قال في الآية: ليس حال هؤلاء بأسوء من حال قومك[3].

2- الرابط "لكن":

لقد لقي هذا الرابط حظا وافرا في كثير من اللّغات، وهذا ما أكسبه اهتماما كبيرا عند كثير من اللغويين أمثال: إسكومبر وديكرو، فقد ميزا وجود هذا الرابط في أغلب اللغات الحية[4].

حيث بعد تتبعهما لمعنى كلمة "***Mais***" بين الاستعمال الحجاجي والإبطالي (***Réfulution***)، فإذا كانت اللغة الفرنسية تشمل على أداة واحدة تستخدم للحجاج والإبطال فإن لغات أخرى تتوفر على أداتين واحدة للحجاج والأخرى للإبطال مثل:

- اللغة الإسبانية (***Sino,Pero***).

1- سورة الأعراف، الآية179.

2- سورة البروج، الآيات: 17-19.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي.

4- ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط.1، 2006، ص57.

- اللغة الألمانية (***Sondern, aber***).
- اللغة العبرية (***Ilay, aval***).
- اللغة العربية (بل، لكن).

إن الوصف الحجاجي الذي يقدّمه أصحاب النظرية الحجاجية للأداة "***Mais***" "لكن" أو ما يقابلها من الأدوات في اللغات الأخرى في حال استعمالها للحجاج يمكن تلخيصه فيما يلي:

إن التلفظ بأقوال من نمط "أو" و"ب" باعتبارهما حجتين يستلزم أمرين اثنين:

1- أن "أ" حجة موجّهة نحو حجة معينة (ن)، أما "ب" فهي حجة ثانية موجهة نحو نتيجة معينة مضادة للأولى "لا-ن".

2- أن المتكلم يقدّم الحجة الثانية باعتبارها الأقوى، وباعتبارها توجه القول أو الخطاب برمته وللنظر إلى قول الله عزّ وجل في الآية الكريمة: ﴿ **أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1].

نجد أن "لكن" الواردة فيه هي لكن الحجاجية، فهناك تعارض حجاجي بين ما يتقدّم الرابط وما يتلوه، فالقسم الأول من الآية (إن وعد الله حق) يتضمّن حجة تخدم نتيجة من قبيل "سيقوم الناس بالواجب" أو "سيطيعون ويتّقون"، أما القسم الثاني من الآية "أكثرهم لا يعلمون" يتضمّن حجة تخدم النتيجة المضادة للنتيجة السابقة "لا-ن"، أي تخدم نتيجة من نمط "الناس غافلون" أو "لن يتّقوا ربّهم"[2].

ولقد ذكر خميسة وطار[3] في مذكرة حروف العطف في العربية وتطبيقات على القرآن الكريم أن وظيفة "لكن" هي الاستدراك وتكون عاطفة بشروط:

1- أن يكون معطوفها مفردا أي غير جملة.

2- أن تكون مسبوقة بنهي أو بنفي.

3- أن لا يقترن بالواو[4].

1- سورة يونس، الآية55.

2- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص58-59.

3- خميسة وطار، حروف العطف في العربية وتطبيقات على القرآن الكريم، ص45.

4- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية للنشر، ج.12، ص579.

وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾[1]، فـ"رسول الله" معطوف على خبر كان، فلو كان معطوفا بـ"لكن" لما دخل عليها حرف الواو كعاطف[2].

3- الرابط "ثم":

يأتي الرابط "ثمّ" على أساس الترتيب والتراخي بمعنى أن الثاني يأتي بعد الأول بمهلة، وهو أن يقع المعطوف بعد المعطوف عليه بعد انقضاء مدة بينهما، وأن هذه المدة قياسها متروك لما متعارف عليه وشائع فضلا عن السياق إذا كان لا يمكن وضع ضابط يحدد المدة طويلة أو قصيرة، لأن ما يعد وقتا قصيرا في موقف ما يعد وقتا طويلا في موقف آخر، فلا يوجد قطعيا مقدار التراخي من جهة اللفظ.

فالرابط الحجاجي "ثم" متضمّن لمجموعة من الإشارات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه الخطاب، ولاسيما أن دلالات عطفه هي التشريك لكننا هنا نشير إلى أن الرابط "ثم" لا يقتصر على وظيفته بهذا فحسب من الناحية النّحوية، وإنما يأتي على المستوى الحجاجي أداة إجرائية ذات بعد أكبر من جانبها اللّغوي المحض، بل تؤدي إلى الكشف عن مقصدية المتلفظ بالخطاب وتوضيح نواياه من خلال سياق المقام.

إن الربط بالرابط الحجاجي "ثم" «يكون بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار إستراتيجية واحدة، لذا فقد يكون الربط بين عناصر غير متجانسة»[3].

بتوظيف "ثم" ضمن تركيب متناسب بحسب ما يكتنف الكلام من ترتيب، وبذلك يلتفت المتلقي إلى المعطيات المطروحة في السياق، كما في قوله تعالى: ﴿ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾[4]، «بدأت الآية بنداء "طلب إنجازي"، وهو النداء بغرض لفت الانتباه، وبيان علاقة المنادى بالمنادي، إذ تنعكس هذه العلاقة لتكون تعبيرا صادقا عن أبعاد هذه العلاقة، وكل هذا من أجل تفعيل العلاقة الحجاجية بين المتكلم والمتلقي، ولتوفير محتوى بصفة منتظمة، إذ ورد بعد النداء فعل أمر "استغفروا"، حيث أن النداء

1- سورة الأحزاب، الآية40.

2- خميسة وطار، حروف العطف في العربية وتطبيقات على القرآن الكريم، ص46.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص91.

4- سورة هود، الآية52.

مهّد لخطاب حجاجي وهو طلب الاستغفار الذي جاء بعده الرابط "ثم" ليبين أن الاستغفار لازمة من لوازم التوبة، فلا توبة دون استغفار "ثمّ توبوا" فساهم الرابط "ثم" في تعزيز الاتّساق في هذا الخطاب الحجاجي من جهة، ومن جهة أخرى استدعاء فرضية المهلة بين الاستغفار والتوبة، كما دلّ على الترتيب والتراخي يفضي إلى تباين المترلتين، إذ لا تصلون إلى التوبة إلاّ بطول استغفاركم»[1].

وعليه يمكن أن نلخص الأدوار الهامة التي جمعها وعدّها كاظم مثنى والتي لعبتها في هذه الآية الكريمة فيما يلي:[2]

1- الربط بين فعلي الأمر "استغفرو" و"توبوا".

2- زيادة اتساق الخطاب الحجاجي.

3- أفادت الترتيب، حيث بيّنت وجوب الاستغفار قبل التوبة.

4- بيان طول المدة "التراخي والاستغفار والتوبة": وهذا الدليل على الفرق بين مرتبتي الاستغفار والتوبة التي لا تتحقق إلا بطول الاستغفار.

وهنا نجد المؤلّف يتّفق مع خميسة وطار في مذكرة حروف العطف في العربيّة وتطبيقات على القرآن الكريم عند تعريفها للرابط "ثم" بكونه: يفيد الترتيب والتعقيب مع مهلة زمنية نحو: نام عدنان ثم خالد، فمثال الترتيب قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾[3]، أما التعقيب على مدة زمنية فمعناه وجود مدة زمنية بين المتعاطفين، حيث هذه المدة لا يمكن أن نقطرها "طويلة أم قصيرة"، لأنها تختلف من موقف إلى آخر، فما يمكن أن نعدّه وقتا قصيرا يمكن أن نعده طويلا في موقف آخر، وهنا نقف عند الآية الكريمة: ﴿**ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22)**﴾[4]، «فعطف الفاء بين "أماته" و"أقبره" لأن الدفن يأتي مباشرة بعد الموت، ثم راخى بين الموت والنشر باستخدام الرابطة "ثم" لأن بين الموت والنشر فترة زمنية»[5].

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص91-92.

2- المرجع نفسه، ص92-93.

3- سورة الأعراف، الآية11.

4- سورة عبس، الآيتين:21-22.

5- خميسة وطار، حروف العطف في العربية وتطبيقات على القرآن الكريم، ص25.

كما يأتي الرابط الحجاجي "ثم" لتحقيق إضاءات تأثيرية في النص عندما يعتمد تكرار الحجة عن طريق الرابط "ثم" حيث أنه يستمد قوّته من هذا التكرار، كقوله تعالى: ﴿**كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)**﴾[1]، حيث جاء الخطاب «مفتتحا بأداة الردع والجزر "كلا" لدعم السياق الحجاجي وقيادته نحو التأثير من خلال توظيف "السين" سين الاستقبال للزمن القريب الحاصل، ثم مرّت هذه الآية بمحطات التراخي والترتيب بعد الربط "ثم" عكس أهمية المكرر ومضمونه، بأنه سيقع عليهم بأقرب فرصة ممكنة، حتى ولو تأخر حينا ، وذلك لأن عملية علمهم ستحصل بالتدريج والتراخي، فلا تكون لديهم حجة بعدم العلم، لأن الله أعطاهم مهلة كافية...»[2].

ومن هنا يمكن أن ندرك «أهمية هذا الرابط ومناسبة توظيفه في النص المكرر»[3].

4- الرابط "حتى":

يفيد «الرابط "حتى" الغاية والتدرّج»[4].

أ- فمعنى الغاية: «آخر الشيء ونهايته، ففي لسان العرب»[5]، الغَايَةُ: هي الفائدة المقصودة، فنقول: غاية الشَّيْءِ نهايته، آخره، مداه...

ب- أما معنى التدريج فيكون المعطوف بها جزءا من المعطوف عليه إما تحقيقا كقولنا: أكلت السمكة حتى رأسها. أو تقديرا:

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَيْ يُخَفِّفَ رَحْلَهُ والزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا

فعطف فعله "بحتى" وليس المعطوف هنا جزءا من المعطوف عليه تحقيقا لكنها جزء تقديرا، لأن معنى الكلام "ألقى بثقله حتى نعله".

وتأتي "حتى" حرف عطف بمنزلة "أو" وبينهما فروق من بينها[6]:

1- سورة النبأ، الآيتين:04-05.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص94-95.

3- المرجع نفسه، ص96.

4- خميسة وطار، حروف العطف في العربية وتطبيقات على القرآن الكريم، ص25.

5- ابن منظور، لسان العرب، ج.15، ص344، مادة(غ ا ي ة).

6- زينب نمر، الروابط والعوامل الحجاجية في ديوان أمل دنقل، مخطوط ماستر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، 2018/2017، ص.35-49.

أ- أن يكون المعطوف بها اسما ظاهرا لا مضمرا.

ب- أن تدلّ "حتّى" على:

1- زيادة حسية نحو: فلان يهب الأموال الكثيرة حتّى الألوف.

2- معنوية: مات النّاس حتّى الأنبياء.

3- نقص حسيّ: المؤمن يجزى بالحسنات حتى مثقال الذرة.

4- نقص معنوي: "عليك الناس حتى الصبيان".

وعليه تستعمل "حتّى" على ثلاثة أوجه:

1- حرف جر نحو: "سلام هي حتى مطلع الفجر".

2- عاطفة حملا على الواو: كقولنا: "جاءني القوم وزيد"، أو "جاءني القوم حتى زيد".

3- أن يكون حرف ابتداء كـ"أما".

وقد نجمع هذه المعاني في "حتى" كلها في مسألة واحدة مثل: أكلت السمكة حتى رأسها، فيأتي المعطوف مجرورا أو منصوبا أو مضموما.

ومن أشهر ما قيل في حتّى المقولة الشهيرة للنحوي "سيبويه": "أموت وفي نفسي شيء من حتى"، وهذا يدل على تعدد معاني "حتى" وأوده استخدامها[1].

ففي التراث اللغوي «ثمة آراء متعددة حول "حتّى" ولا سيما إعرابها، فيرى البصريون أنه حرف عطف وحرف ابتداء وحرف جر، أما الكوفيون فلا يعدونه حرف عطف، بل يرونه حرف نصب»[2].

أما من حيث المعنى فيفضي هذا الرابط إلى معنى انتهاء الغاية وهو الغالب ويأتي للتعليل، وقلّما يأتي للاستثناء والغاية في "حتّى" تأتي لتدلّ على شيء ينتهي به المذكور أو عنده كالرأس من السمكة في المثال المشهور السابق الذكر.

أما صفوة القول: يأتي الرابط "حتى" على صور ثلاث على وفق السياق التخاطبي التداولي الذي يرد فيه، لأن دوره هو إقامة علاقة تراتبية بين طرفي القول وبحسب السياق.

1- خميسة وطار، حروف العطف في العربية وتطبيقات على القرآن الكريم، ص26-27.

2- محمد أمين البخاري، تيسير التحرير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ودار الفكر، بيروت، 1996، ط.4، ج.2، ص96.

إن الحجاج المتعلق بالرابط «"حتى" عليها تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة لتخدم نتيجة واحدة، كما أن القول المشتمل على الرابط "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي، وعليه يشير ما بعد حتى إلى حجة نفعية للخطاب من خلال الإشارة إلى أهمية ما هو ثانوي، وتفعيل دوره إلى ما قبله الأساس، حث أن الخطاب الذي قبل "حتى" والخطاب الذي بعدها لا ينتميان إلى نفس المستوى، فغالبا ما يضيف معلومة غير متوقعة»[1]، من أجل تنشيط ذهن المتلقي والتأثير فيه، كما في قوله تعالى: ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾[2]، إذ تصدّرت الآية بتوكيد الخسران لهؤلاء المكذبين، وأن الخسران جعلهم يتحسرون، فالرابط منح النص دلالة حجاجية لتوثيق هذا اللقاء الذي كذبوا به، لأنها ربطت بشكل نسقي بين الخسران والإخبار بحسرة من كذّب بهذا اللقاء، حيث جاءت الحسرة متزامنة مع مباغتة الساعة لهم، وهكذا ساهم الرابط في إقناع المتلقي بهذه البغتة.

كما ورد أن «هذا الرابط يأتي لإضفاء مبدأ الاشتراك والاحتواء بين ما قبل "حتى" وما بعدها»[3]، وذلك بعدم إغفال العلاقة السابقة التي وردت بعد الرابط، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[4].

هذا النص يتمركز حول إطارين: الأول الاختلاف والآخر العلم، وإن الذي ربط بينهما بـ"حتى" هو المضمون المتمثل في التعجيب لحال هؤلاء، فلا مكان للاختلاف في وجود العلم، وأن العلاقة الحجاجية هي علاقة رؤية تتعالق بما قبل الرابط، فالمراد بالاختلاف ما تعورهم من شكوك بعد مجيء النبي صلى الله عليه وسلم وتضافر معجزاته.

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص97.

2- سورة الأنعام، الآية31.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص98.

4- سورة يونس، الآية93.

المبحث الثاني: العوامل الحجاجية:

العوامل الحجاجية: هي «تلك الأدوات التي تحوِّل وتوجه إمكانات الخطاب الحجاجية، لأنها تحصر إمكانياته التي يريد الاحتجاج بها، أو هو الحجاج التقني المقيد للقول الواحد في حجّة واحدة»[1].

لم تعرف العوامل الحجاجية كآلية إلا في العصر الحديث على يد "ديكرو" و"آن روبل" و"جاك موشلر"، حيث أنّ جلّ الدراسات التي كانت من قبل هؤلاء كانت عبارة عن إشارات وومضات متلاشية في أمهات الكتب سواء أدبية أو فلسفية، التي كانت تحمل في ثناياها المعطى التخاطبي العادي الخالي من الآثار الحجاجية، الهادف إلى التواصل فقط.

بينما الدراسات الحديثة «وجدت قفزة نوعية، إذ كانت غايتها الأولى هي تحقيق الإقناع، من خلال عملية التواصل (حوار)، في معنى أن اللغة في بنيتها لا تشتمل على أثر ذلك العامل في الخطاب، وإنما تتعدى إلى الأبنية التركيبية، والظواهر البلاغية وغيرها، فهي تعمل على حصر الخطاب وتوجيهه إلى مسار واحد دون غيره من المسارات الأخرى، فمثلا قولنا: "الساعة الآن الثامنة"، فهنا يوجد تعدد في المعنى التوجيهي، لكن عندما تدخل العامل عليها نستطيع تحديد المسار التوجيهي الذي يخص قضية ما وبالتالي يعتبر العامل الحجاجي أهم آلية لغوية تستدعي حصر الإمكانات الحجاجية المختلفة، لذلك الخطاب أو تلك القضية التي يريد المخاطب أن يبلغها للمتلقي»[2].

فغاية الخطاب هي «الإقناع... ولا تتحدد هذه الغاية المركزة إلا بهذه العوامل، ذلك بعد أن توضع خطة الباث في صوغ خطابه وذلك في ضوء العملية التخاطبية»[3]، وبالتالي من هذا المنظور الموجز يمكن أن نعرّف العامل الحجاجي على أنه: «تقييد وتضييق الإمكانات الحجاجية التي نجدها في قول ما وتوجهه نحو نتيجة معينة (بمعنى الحد من عدد النتائج) فضلا عن كونه يرتقي بالملفوظ من الوظيفة الإبلاغية إلى الحجاجية»[4].

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص100.

2- زينب نمر، الروابط والعوامل الحجاجية في ديوان أمل دنقل، ص31.

3- المرجع نفسه، ص32.

4- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع، ط.1، 2007، ص63.

من خلال هذه التعاريف نستخلص أن «النحاة العرب قد حلّلوا العوامل النحوية بدقة وإمعان وركّزوا على الدور الأساس للحروف (الروابط) كما أبرزوا ما للدلالة الوظيفية في إنجاز الربط الداخلي بين المركبات النحوية الحجادية داخل الجملة»[1].

تعد العوامل الحجاجية «من أهم الوسائل التي يلجأ إليها المتكلم في توجيه خطابة نحو وجهة حجاجية ما لإقناع متلقيه بالنتيجة التي يروم تحقيقها، فالعوامل الحجاجية تعمل على تقليص الإمكانات الحجاجية للقول الواحد داخل الخطاب، وتزيد من طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة ما، ومن أهم المفاهيم الرئيسية في النظرية الحجاجية التي تساعد المتلقي في الكشف عن معنى النص»[2].

توصف العوامل الحجاجية بأنها «العماد في عملية التواصل، والخطاب الهادف لتحقيق الإقناع لأنها محرك رئيسي ضمن المحركات التي تقوم عليها عملية التخاطب»[3].

الفرق بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية:

تختلف العوامل الحجاجية «عن الروابط الحجاجية في كونها لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين بعض الحجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضمّ مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربّما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، م...، إلا، وجل أدوات القصر فالعامل الحجاجي يزيد من القوة الحجاجية للخطاب لأنها مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ، تحول وتوجه الإمكانات الحجاجي لهذا الملفوظ، فهي تتعالق مع مكونات النص لتوجيه الخطاب نحو التأثير في المتلقي للوصول إلى الإقناع»[4]، فهي -العوامل الحجاجية- «عناصر لغوية إسنادية، نحوية أو معجمية، تربط بين مكونات القول الواحد، كالحصر والنفي، والشرط، ووظيفتها هي حصر الإمكانات الحجاجية لمحتوى الملفوظات وتحويلها»[5].

1- زينب نمر، الروابط والعوامل الحجاجية في ديوان أمل دنقل، ص32.

2- عايد جدوع حنون، لعوامل الحجاجية في آيات الأحكام، مجلة أوروك، مج.9، ع.4، 2016.

3- هاني يوسف بوغليون، الحجاج في النص القرآني سور الحواميم أنموذجا، مخطوط ماجستير، جامعة مؤتة، 2018، ص161.

4- المرجع نفسه، ص161.

5- عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار منشورات الأمان للنشر، ط.1، 2013، ص100.

فهذه الإمكانات الحجاجية «التي توفرها العوامل اللغوية من شأنها تحديد المسار (الحجاجي) التوجيهي للحجج، وتعدّ هذه العوامل من المؤشرات الحجاجية لأن العوامل الحجاجية وأدواته تشكل أثرا بالغا في الحجاج اللغوي، فالعوامل الحجاجية تدعم قضية مطروحة، تتمتع هذه القضية عند المتلقي كونها حدثا، ويسمح هذا الحدث للمرسل باستعمال العامل الحجاجي ببناء حجّة تستند إلى علاقة ترتكز إلى مشتركات بين المرسل والمتلقي، مما يعطب للقول قيمة حجاجية بسبب دعم العامل له، فيكون منشطا للقضية المراد الاحتجاج لها»[1].

ووظفت العوامل الحجاجية في «سور الحواميم لما تحمله من طاقة حجاجية تأخذ بيد المتلقي لدخول دائرة الإفهام، ثم تنقله بعدها إلى دائرة الإقناع ليتأثر الخطاب الموجه له، فتزيد من إذعانه»[2].

ومن هذه العوامل نذكر:

1/ العامل الحجاجي "كاد": وهي التي تفصح عن قرب الفعل ووقوعه، ولفعل المقاربة استعمالات متنوعة.

2/ العامل الحجاجي: النفي والاستثناء بـ"إلا": هذا العامل مم جدا نظرا إلى وظيفته وهي قصر شيء بشيء.

3/ العامل الحجاجي "إنما": يكسب هذا العامل الحجاج نوعا من الترتيب وتقويته.

أولا: العامل الحجاجي "كاد":

يعبّر فعل المقاربة "كاد" عن قرب حدوث الفعل فهو يقارب الحدوث سواء حدث أم لم يحدث، فهو وفق مفهوم الحجاج يتيح الربط بين مقاطع النص وأجزائه، وبين الأقوال والجمل داخل المقطع الواحد، فحسب التحليل الحجاجي فإن الحجة تسير في الاتجاه الذي تؤدي إليه الحجة، فالعامل الحجاجي "كاد" لا يسعى في الخطاب للمقاربة فحسب، وإنما يعمل على توحيد المضمون النصي الذي يحمل فكرة ما يراد بها إقناع المتلقي وحمله على الاعتقاد بها وبمحتواها، لذا جاء التروع إلى العامل الحجاجي "كاد" في هذا الخطاب لتكثيف الفكرة وحصر

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص103.

2- هاني يوسف بوغليون، الحجاج في النص القرآني سور الحواميم أنموذجا، ص162.

إمكاناتها للفت انتباه المتلقي من خلال إبراز المضمون بمستوى قريب جدا إليه، ولتكثيف الفكرة في ذهن المتلقي وحصر إمكاناتها قال تعالى: ﴿**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[1]، فالعامل الحجاجي هنا «عمل على مقاربة فكرة عظمة الله وأن كل ما في الكون يخشع له، فإن كانت السموات وهن جماد تسجدن لله وتخشع له، فمن باب أولى أن يسجد له الإنسان، فلو جردت الآية من هذا العامل لأصبحت الآية ذات محتوى إخباري فقط، كما قام العامل الحجاجي يربط أجزاء النص وتوضيح الانسجام بين ملفوظاته»[2]، فقال تعالى: ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**﴾[3].

فقد أظهر العامل «الدوافع النفسية التي دفعت فرعون لوصف موسى عليه السلام بهذه الصفة فجاءت (أم) منقطعة بمعنى "بل" للإضراب الانتقالي، فالهدف من استخدام العامل الحجاجي هو تحقيق الغاية المضمرة وهي التحقير بسيدنا موسى عليه السلام، لإشادة لما كان فيه من حبسة في الكلام لإقناع المتلقين أنه خير منه بما يمتلكه من طلاقة»[4].

لا يسعى العامل الحجاجي «من خلال الخطاب المكي إلى المقاربة فحسب، وإنما يعمل على توحيد المضمون النصي الذي يحمل فكرة ما يراد بها إقناع المتلقي وحمله على الاعتقاد بمحتواها، من خلال إبراز المضمون بمستوى قريب جدا إليه، وبالنتيجة ارتفاع درجة التخيّل عنده إلى مستوى استحضار الحدث»[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17)**﴾[6]، إذ أن «الصديد هو القيح المختلط بالدم يتكلف الظالم بلعه بصعوبة بالغة، لذلك جاء العامل الحجاجي ليقيد نفي الاقتراب من الاستساغة وهي (عدم سهولة الشرب) لأنه مكره على شربه، فورود الفعل "يتجرع" بدلا من "يجرع" دلّ على أن هذا

1- سورة الشورى، الآية5.

2- هاني يوسف بوغليون، الحجاج في النص القرآني سور الحواميم أنموذجا، ص167.

3- سورة الزخرف، الآية52.

4- هاني يوسف بوغليون، الحجاج في النص القرآني سور الحواميم أنموذجا، ص167.

5- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص104.

6- سورة إبراهيم، الآيتين:16-17.

الصديد يشرب على دفعات، لدرجة صعوبة قوام هذا الشراب وكراهية طعمه، مما أعطى صورة الإجهاد والعذاب في هذا الشراب المتكرر بتكلف، لذا جاء العامل الحجاجي "يكاد" منفيا أي "لا يكاد" لإثبات عدم الاستساغة والاستطعام لهذا الصديد، إذ قيد العامل الحجاجي وحصر عدم إمكانية التقبل لهذا الشراب، بدليل أن الكلام كان ليستقيم لو قيل مثلا "ولا يسغه" مما جعل العامل "لا يكاد" يدفع بالخطب إلى المقاربة في توصيل المعنى بعده عنصرا حجاجيا، أوحى للمتلقي بالاتساق والانسجام بين مضمون الخطاب، وتحقق حدثه إذا شحن العامل الحجاجي النص بحجاجية عالية، ورفعه إلى مستوى عال من الحسية، فأضفى العامل الحجاجي بعدا معنويا في وصف شدة عدم تقبل شراب الصديد وقربه»[1].

ثانيا: العامل الحجاجي (النفس والإستثناء بإلا):

اهتم علماء البلاغة «في باب المعاني بالنفي ودوره في إثبات الملفوظات الإخبارية ليكون صيغة للانطلاق للإثبات، حيث وظف في السور الآتية: غافر، فصلت، الشورى، الدخان، الأحقاف بنسبة (**81%**) من إجمالي العوامل الحجاجية المستخدمة، حيث يعود ارتفاع نسبة توظيفه ما يحققه العامل من توجيه القول المنفي في تحديد مسار الحجج، متّخذا من منحى التعارض وسيلة لقصر الحجج على حجة بذاتها؛ فالنفي عامل حجاجي يحقق به المخاطب وظيفة اللغة الحجاجية، المتمثلة في إذعان المتقبل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة، فيصدق عليها قول أسكومبر: "يوجد في اللغة صرافم"، عوامل حجاجية تشد الملفوظ، تبدل العامل توجه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة ف الملفوظ في بدايته»[2]، ويبنى هذا العامل بصيغة «(النفي والاستثناء بإلاّ): لذلك يعد عاملا حجاجيا لما يقصر بشيء على شيء آخر في بنية النص، وتكون الفكرة المشتركة بين كل من المرسل والمتلقي هي المسار المؤدي إلى نتيجة ما، ذلك لأن العامل صورة من صور تقييد الفكرة المطروحة، والضغط على محتواها الخبري، لكي يجعل المتلقي يلتفت إليها فلعله يذعن، فكثيرا ما يستعمل (النفي والاستثناء) في توجيه القول نحو ما يعتقد به المتحدث»[3]، فيكون توظيف هذه الصيغة «لأمر ينكره المخاطب، ويشك فيه بالنفي

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص105-106.

2- هاني يوسف بوغليون، الحجاج في النص القرآني سور الحواميم أنموذجا، ص162.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص108-109.

والإثبات»[1]، والعامل الحجاجي يقيد المحتوى في نقطة ثابتة خاصة في القضايا الخلافية في قوله تعالى: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾[2]، فقد «قيّد العامل الحجاجي الفعل المضارع "يجادل" وقصره على فئة محددة فجعل المجادلة في أمر القرآن خاص "بالذين كفروا" ليزيل الستار عن اعتقادهم وموقفهم من القرآن، وأفادت آية النفي "ما" إلى إثبات الجدل للكافرين، ففي هذا الإثبات نفي الشك في القرآن الكريم عن المؤمنين الذين لا يشكون في صدق القرآن الكريم.

كثيرا ما يستعمل العامل الحجاجي (النفي والاستثناء) في توجيه القول إلا وجهة واحدة نحو ما يعتقد به المتحدث، ويريد أن يثبته، وهذا ما يستثمره المرسل في محاولة منه للدفاع عن قضية معينة، يعتقد بها، ويريد الآخر أن يقتنع بها لذا يوجه هذا الأسلوب إلى ثلاثة أصناف من المخاطبين وهم:

- مخاطب خالي الذهن.
- مخاطب يعتقد رأيا مخالفا فهو منكر لما يسمع.
- مخاطب شاك متردد في الرأي المقدم له.

وعلى ذلك يعد هذا العامل من العوامل التي تقيد المحتوى في نقطة ثابتة نظرا لارتباطه المباشر بالمقام، ولاسيما في النصوص المكية التي تحتوي على المناقشات حول الأمور العقائدية، فالجملة المقصودة تحمل إمكانات حجاجية عديدة، لأنها تخدم نتائج كثيرة، فيأتي القصر ليضيف المحتوى ويكثفه، ويؤدي إلى الإسراع بالنتيجة»[3].

ومن سمات هذا العامل أيضا تقرير المعنى في الذهن وتثبيته والدعوة إليه ضمن نسق لغوي خاص يقرره الأسلوب والأداة المستعملة، وتقديم المقصور والمقصور عليه، وبالعكس حسب سياق الموقف لأن النفي متنوع الأدوات، ولكل أداة نفي في العامل الحجاجي دلالتها المعينة التي لا يمكن أن نستبدلها بأخرى كما في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ**

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح. محمد شاكر، مطبعة المدني، بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م، ج.1، ص133.

2- سورة غافر، الآية4.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص109-110.

يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[1]، إذ جاء العامل الحجاجي في آخر الآية معلنا بقيد اعتقادهم بالقرآن الكريم، على الرغم من سياق الآية الأول، فأعطت أداة النفي (إن) شدَّة في التوكيد بعدم الإيمان، فالعامل الحجاجي حصر عدم إيمانهم وثبته عليهم، فثمّة من يصغي منهم ولكن لفرط عنادهم حصروا جوابهم بالأساطير، ففي هذه الآية يظهر الارتباط الوثيق بين العامل الحجاجي (النفي والاستثناء) والأحوال التي يكون عليها المخاطب، فالجو العام للنفي وما يَلُفُه من ظرف نفسي أو اجتماعي له الأكثر الكبير في استعمال هذا العامل، لأنه يستعمل عند عدم اتفاق الآراء، والعامل الحجاجي "هذا" «يحدد المعاني تحديدا كاملا»[2].

ثالثا: العامل الحجاجي إنما:

يعتبر العامل الحجاجي «"إنما" إحدى العوامل التي تقوم بترتيب الحجج في الخطاب، وجعل النص مؤكدا، فتأتي إنما لتثبت ما يذكر بعدها وتنفي ما قبلها، فبين هذا العامل والعامل النفي والاستثناء تشابه كبير في كون كل منهما يقوم بالتقيّد... وأما وجه الاختلاف أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما... إلا) يصلح فيه "إنما" مثلا في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[3]، لا يصلح العامل إنما»[4].

ولقد خصّها الجرجاني في الدلائل بالذكر أكثر من مرة، إذ يقول أعلم أنها تفيد في الكلام، بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه من غيره، فإذا قلت: «إنما جاءني زيد» فهم من الكلام أنك أردت أن تنفي مجيء غيره وكأننا قلنا "جاء زيد لا عمر"، ولو أخضعنا هذه الجملة لمقولة التوجيه في الحجاج، فمثلا قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾[5]، وهذا كلام على لسان بني إسرائيل، له نتيجة واحدة لا ثانية مفادها أننا لسنا مفسدين، ومما قاله ابن عاشور في تفسيرها «أفادت إنما قصر الموصوف على الصفة ردا على قول من قال لهم لا تفسدوا في الأرض، لأن القائل لهم أثبت لهم صفة الفساد، إما باعتقاد أنهم ليسوا من الصلاح في شيء أو (لا) باعتقاد أنهم خلطوا عملا صالحا وآخر فاسدا فردوا عليهم

1- سورة الأنعام، الآية25.

2- مصطفى الصاوي الجويني، المعاني-علم الأسلوب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص40.

3- سورة ص، الآية55.

4- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص113.

5- سورة البقرة، الآية11.

بقصر القلب»[1]، حيث أن العامل «إنما يختص بقصر القلب كما في دلائل الإعجاز، وجعلت جملة القصر لتفيد أنهم جعلوا اتصافهم بالإصلاح أمرا ثابتا دائما، لأن الجملة الاسمية تفيد الدوام والاستمرارية»[2].

ولقد وردت "إنما" في الآية المذكورة في سياق حجاجي بعد قول من قال لبني إسرائيل لا تفسدوا في الأرض، فما كان من بني إسرائيل أنهم ردوا بقلب رأي خصومهم، وما كان هذا القلب ليعبر عنه إلا بالعامل الحجاجي "إنما".

والسبب في إفادة العامل الحجاجي "إنما" معنى القصر هو تضمينه معنى "ما... إلا" لذلك تسمع المفرين في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[3]، "الميتة والدمَ" بالنصب يقولون معناه ما حرّم عليكم إلا الميتة والدم، و لم يحرم سواهما من هذا القبيل.

إن الصرفم "إنما" إذ دخل على الجملة نحن مصلحون جعلت الجملة جملتين فيهما تقابل وهما:

1- نحن مصلحون.

2- لسنا مفسدين كما تدّعون.

وهو ما يجعل الكلام «ذا طابع حجاجي واضح في حين أن غياب إنما يجعله لمجرد الإبلاغ والإعلام وتكتفي اللغة بوظيفتها الإعلامية "***La fonction informative***" لا تتعداها إلى الحجاجية "***L'argumentative***" فغياب هذه الصرافم "العوامل الحجاجية" يكون الكلام حينئذ وصفا لما عليه الأشياء»[4]، وليس بمعنى نقلب رأيكم.

إن مفهوم «المخالفة الناجم عن بنية القصر الذي تفيده "إنما" على المشهور يفيده كذلك ضمير الفصل نحو:

- علي هو الذكي.

1- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط.1، 2011، ص55.

2- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، د.ط، ص283.

3- سورة البقرة، الآية173.

4- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص55-56.

- الله هو المستعان.

فالمفهوم الذي يقود إليه الملفوظ في كلا المثالين وقد اشتمل على ضمير الفصل، أي "غير عير ليس ذكيا" معناه إنما الذكي علي، فلو جاء القولان عارين من العامل الحجاجي "ضمير الفصل" في قولنا على شكل:

- علي ذكي.
- الله المستعان.

لتعددت المفاهيم الناجمة عن كل منهما، ولفقد الملفوظ بذلك بُعده الحجاجي ودخل في زمرة الإبلاغ... بحيث يصبح مجرد وصف...»[1].

إن علاقة العامل الحجاجي إنما بالخطاب ليس هي علاقة إثبات أكثر مما هي علاقة نفي، لأنه يحمل بنية مرتبطة بذات المرسل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾[2]، جاء العامل الحجاجي، «إنما ذو دور فاعل ومؤثر في إثبات قضية تمثلت بزوال الدنيا والثبات على عقيدة فرعون، لأنهم أرادوا قطع الطريق على فرعون بتأخير خطابهم بالعامل الحجاجي "إنما" فقصروا الانقضاء والزوال بالحياة الفانية السفلى، لذا جاء العامل الحجاجي ليقصر موصوفا على صفة قصر حقيقيا تحقيقيا، فهو مقصور على القضاء في الدنيا، ونفي القضاء على ما دون الدنيا، فلا يتجاوزه إلى الآخرة، وفيه تصحيح لخطأ في اعتقاد فرعون»[3].

فضلا عن أن «استعمال اسم الإشارة "هذه" في الخطاب أعطى دلالة التحقير لهذه الحياة الدنيا والاستهانة بها والاستصغار بأمرها.كما يكسب العامل الحجاجي إنما النص تقييدا لمحتوى ذهني عميق كاسيا النص أبعادا جديدة، من خلال تسليط الضوء على معنى واحد غير متعدد»[4]، كما في قوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[5]،

1- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص57.

2- سورة طه، الآية72.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص114.

4- المرجع نفسه، ص115.

5- سورة الزمر، الآية9.

فالتذكر لا يتجاوز غير أولى الألباب، فالعامل الحجاجي حصر التذكر بأصحاب العقول مطلقا، واستثمر العامل الحجاجي ذلك لغرض التعريض بأهل الجهل، ونحو ذلك أن تكون في مقام الثناء على أحد بالفهم وبُعد الإدراك والتعريض بآخر، لبأنه ليس عنده هذا الفهم والبعد في الإدراك، وهذا تنبيه إلى طلب الفهم والحث عليه وتنديد بالجهلاء الذين لا يسعون إلى العلم والتفكـــر في الكون وآيات الله فلولا العامل الحجاجي لما حصل التعريض هنا.

في هذا الفصل تمكّن المؤلف من إيصال معاني وأدوار العوامل الحجاجية مع ذكر بعضها ووظائفها، غير أننا بعد تتبع بعض المراجع الأخرى التي تطرقت إلى الموضوع وجدنا المؤلف قد أغفل مجموعة مهمة من العوامل لسبب مجهود مرده في الغالب في رأيي إلى احتمالين:

- أنه اكتفى بالأهم إذ أن العوامل المذكورة تمثل أكثرها استعمالا في اللغة.
- أما الثاني فهو قلة استخدامها في القرآن الكريم عموما والسور المكية خصوصا، إذ أن بحثـــه منحصر على السور المكية، كونها الصور الأكثر توظيفا للحجاج لأن أغلب آياتهـــا موجهـــة لنقاش المشركين وتوجيه انحرافاتهم.

ومن هذه العوامل نذكر:[1]

- العامل الحجاجي "لا النافية".
- النفي الميثالغوي: (وهي لا نافية للسؤال والجواب).
- النفي الجدالي (ليس...إلا)، (لم... إلا).
- النفي الوصفي (لا الغير عاملة، بلا)

المبحث الثالث: السلالم الحجاجية:

السّلالم اللغوية:

تعرّفنا في المبحثين السابقين على الروابط اللّغوية والعوامل اللّغوية والدور الذي يلعبانه في خدمة الخطاب الحجاجي والعملية التأثيرية الإقناعية في النص...

لذا سنتعرف إن شاء الله على السلالم اللغوية ودورها في العملية التأثيرية، والإقناعية في الخطاب الحجاجي، وذلك من خلال:

- تعريف السلالم الحجاجية.

1- ينظر: زينب نمر، الروابط والعوامل الحجاجية في ديوان أمل دنقل، ص59-60.

- قانون تبديل السلم.
- أهم السلالم.

1- تعريف السلالم الحجاجية:

هو تصور ينبني على مبدأ التدرّج في الحجج،حيث ينتقل المخاطِب من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، وصولا إلى النتيجة المتوخاة من المرسل، وأن هذه الحجج تدعم النتيجة التي ينقاد إليها المتلقي من خلال متابعة هذه الحجج وما ستؤول إليه لأن «الحجة لا تكون حجّة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة، مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرّح بها وقد تبقى ضمنية»[1].

ويعرّف السلم الحجاجي على أنه علاقة تراتبية للحجج المتتابعة، حيث يمكن أن نرمز لها بالمخطط الآتي:

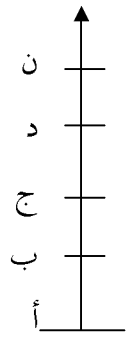

ن: (النتيجة)

أ/ب/ج/د حجج متدرجة في القوة تخدم النتيجة

هذه الحجج يجب أن تكون منتمية إلى فئة حجاجية معينة، وتنهض على علاقة تراتبية معينة، لذا فهي تشكل مسلما حجاجيا موجّها نحو ما يريد أن يصل إليه المخاطب.

نجد المؤلف متفق كثيرا مع الدكتور "حمدي منصور جودي" في مقال له بعنوان: "السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب مقاربة تداولية" في "مجلة مقاليد" جامعة بسكرة العدد**13** ديسمبر **2017**، إذ يقول أن مفهوم السلم الحجاجي يرتكز في الخطاب على مبدأ التدرج في استعمال وتوجيه الحجج والأدلة، لأن الحجاج بوصفه إستراتيجية لغوية لا يرتبط بالمضمون، وما يحيل إليه من مرجع، وإنما يرتبط بقوة وضعف الحجج ومدى خضوعها لمنطق الصدق والكذب، فالمرسل ننظّم حججه أثناء التواصل وفق ترتيب تتحكم فيه معطيات متعددة منها:

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص117.

مرتبة المرسل، وطبيعة المرسل إليه، والسياق المحيط بالخطاب الحجاجي، لهذا يمكن القـــول: إن السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج، تتجسد وفق الشكل الآتي[1]:

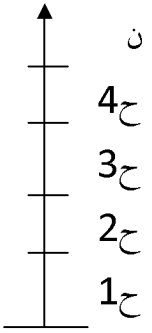

حيث ترمز ن إلى النتيجة التي لا يمكن الوصول إليها إلا بتدرج مجموعة من الحجج أثناء الخطاب.

ويتّضح ذلك من خلال المثال الآتي[2]:

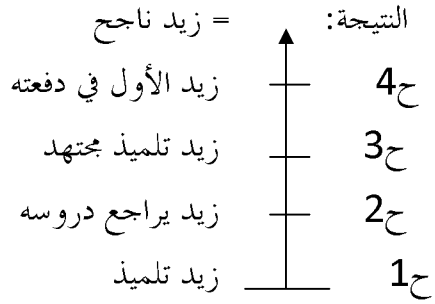

فمن خلال هذا المثال نجد تدرجا وترتيبا في تدرج الحجج واستعمالها ح1، ح2، ح3، ح4 في منحى تصاعدي، يؤدي إلى النتيجة (ن) ضمن سلم حجاجي.

ويعدّ السلم الحجاجي مجموعة غير فارغة من المقولات، مزودة بعلاقة ترتيبيـــة تخضـــع لشرطين:

1/ الشرط الأول: كل قول (حجّة) ترد في السلم الحجاجي تكون دليلا أقوى من القول الذي أدنى منه في الحجّة بالنسبة للنتيجة (ن).

2/ الشرط الثاني: إذا كانت الحجة (ح1) تفضي إلى النتيجة (ن)، فإن (ح2، ح3، ح4) التي تعلوها درجة تؤدي نتيجة (ن) والعكس غير صحيح، واعتمادا على المثال السابق، فإن كانـــت للحجة (ح1) (زيد يراجع دروسه) تفضي إلى نتيجة مفادها أن (زيد ناجح)، وبالتـــالي فـــإن

1- منصور جودي حمدي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب مقاربة تداولية، جامعة بسكرة، مجلـــة مقاليـــد، ع.13، 2017، ص1.

2- المرجع نفسه، ص2.

الحجّتين (ح2، ح3) (زيد مجتهد، أو زيد الأول في دفعته) وهما تعلوان (ح1) تؤديان بالضرورة إلى النتيجة ذاتها (زيد ناجح).

وتنطلق نظرية «السلم الحجاجي من قرار التزام في عمل المحاجة بين القول الحجة والنتيجة، وهذا التلازم يفرض ربط الحجة المستعملة بالنتيجة المقصودة، سواء كانت هذه النتيجة صريحة أو ضمنية، تلتمس من سياق الكلام، ويتم الربط بين الحجج والنتيجة بواسطة قاعدة استدلالية»[1]، ترتكز على «قياس منطقي يتألف من مقدمة كبرى ومقدمة صغرى ونتيجة، لأن القياس المنطقي هو أحد طرق الاستدلال غير المباشرة وأقواها إنتاجا»[2]، في الربط بين الحجج والنتيجة المقصودة من باب المنطق والدلالة، وهذا المثال يوضح ذلك الرابط:

- المقدمة الصغرى – زيد يراجع دروسه.
- المقدمة الكبرى – زيد الأول في دفعته.
- النتيجة زيد ناجح.

↓

وعليه فإن المرسل في الخطاب الحجاجي يقصد إقناع المرسل بفعل معين أو التأثير فيه اعتمادا على سلم حجاجي يكون بمنزلة دعامة استدلالية لغرضه الذي من أجله كانت العملية التخاطبية، والحجج التي يستعملها لن تكون على درجة، بل تختلف وتتفاوت فيما بينها وفق القوة والضعف[3]، ففي المثال السابق نجد أن الحجة (زيد يراجع دروسه) لا تعني بالضرورة أن (زيد ناجح) دوما إلا أن حجة (زيد الأول في دفعته) تزيد من قوة الحجة الأولى، على اعتبار أنها جاءت موالية لها، وبالتالي توصل إلى النتيجة المقصودة (زيد ناجح).

2- قوانين السلم الحجاجي:

إن الخطاب الحجاجي لا يعتمد على الصدق والكذب بقدر ما يعتمد على قيم النفعي والخطاب، لأن الخطاب الحجاجي غايته القوة والضعف إزاء قضية ما[4].

1- عبد الرحمن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، تح. حسين مؤنس، ط.1، 1993، ص227.

2- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج.40، ع.2، 2004،ص93.

3- المرجع نفسه، ص93.

4- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص118.

ولقد صاغ ديكروا ثلاثة قوانين ضمن كتاباته حول السلم الحجاجي وعدّها بمنزلة قواعد تدعم هذا السلم وهي:

1/ قانون تبديل السلم (النفي): ويقتضي هذا القانون أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله[1]، بمعنى لو أننا استعملنا الملفوظ (ب) للدلالة على مدلول ما فيه نفيه (ليس ب) سيكون دليلا على نقيض المدلول، بمعنى إذا كانت (ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول (ج) فإن (ليس ب) تنتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بالمدلول (ليس ج).

2/ قانون الخفض: ويقتضي هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها[2]، وأن التراتب بين الحجج يمكن أن يعدل أو يتغير من زيادة أو نقصان من لحظة إلى أخرى بحسب تدخل عوامل معينة تعد صادقة بعد أن كانت كاذبة والعكس صحيح وعليه فإن مفهوم القوة يظهر جليا في السلالم الحجاجية لتكونه من حجج متدرجة في القوة التكليمة وديكو عن القوة الحجاجية ضمن التكلم[3].

3/ قانون القلب: يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، وبعد تتميما للقانون ومفاده أن السلم الحجاجي الأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة ويمكن أن نرمز لها بواسطة السلمين الحجاجيين الآتيين[4]:

و«للتوضيح أكثر:

- حصل زيد على كلية الطب، ثم الدكتوراه في الطب.
- لم يحصل زيد على كلية الطب، و لم يحصل على الدكتوراه فيها.

1- ينظر: طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، ط.1، 1998، ص278.

2- طه عبد الرحمن، منهجية الحوار والميزان والتكوثر العقلي، ص277.

3- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، دار إفريقيا الشرق، 2004، الدار البيضاء، المغرب، ص138.

4- المرجع نفسه، ص138.

فحصول زيد على الدكتوراه دليل قوي علة مثابرته العلمية، في حين عدم حصوله على كلية الطب في المثال المنفي حجة قوية على عدم مثابرته العلمية»[1].

إن «سيرورة التدرج في السلم الحجاجي نحو الارتفاع، ويأتي من أجل التسليم بالنتيجة من خلال الانسجام في هذه الحجج عبر مساراتها التصاعدية وصولا إلى النهاية (النتيجة) وهذا ما يهدف إليه مرسل الخطاب، ولهذا فإن مفهوم السلم الحجاجي بتركيزه على الطابع المتدرج والموجه للأقوال يبين أن المحاجّة ليس مطلقة، إذ لا تتحد بالمحتوى الخبري للقول ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون، وإنما هي رهينة اختيار هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة لذلك، فالحكم على المحاجة أساسه القوة والضعف اعتبارا لطابع التدرّج فيها»[2]، وقد لخّص هوفلان وجانيس الفائدة من الخطاب الذي يرعض جانبا واحدا من الموضوع، والذي يعرض الجانبين فقالوا:

«إن لديكرو الفضل في وضع السلم الحجاجي، والتنظير له بالنسبة للمقولات التي تنتمي إلى اللغة الطبيعية، عير أننا لا نعدمه عند اللغويين والفلاسفة قبله، لأنهم استثمروا هذا المبدأ وعملوا به عن وعي، وفج عرف المسلمون تصانيف سلمية قائمة على التدرج، مثل تصنيف الأحكام الشرعية»[3].

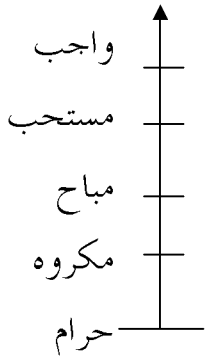

إن السلّم الحجاجي «لا يقوم على عدد الحجج وإنما يتوقف ذلك على النتيجة، ومكانتها عند طرقي الخطاب (المرسل-المتلقي) ضمن مشتركات ثقافية أو إنسانية أو علمية أو دينية. غالبا ما تكون الحجّة الأولى المطروحة في الخطاب مهيأة للمتلقي ومحفزة لذهنه على التواصل والمتابعة لما سيأتي بصورة تصاعدية على وفق قوتها، لاستمالة المتلقي وإذعانه، ولعل

1- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص24.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص119.

3- كمال أوقاسين، أصول الفقه، دار الإتقان، 2009، ط.1، ص9.

اتجاه التدرج باتجاه واحد ضمن فئة حجاجية واحدة هو الذي يقود إلى النتيجة بشكل غير ملتبس، وهذا يرجع إلى التراتبية في عرض الحجج ضمن آليات لغوية يعتمدها المرسل في خطابه مع المتلقي»[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74)قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78)**﴾[2].

لقد اعتمد «الرجل على سلسة مرجعيات قولية وفعلية ساقها المقام للوصول إلى نتيجتين ضمن سلمين انبثقا ليتوزعا منتظما في متن النص، من خلال عدد من القواعد للتلفظ بالخطاب على وفق ما تقتضيه العلاقة بينه وبين المرسل إليه، محققة العلاقة بينهما إضاءة موحية لنتيجتين في تعالق الحجج وتدرجها في فئة واحدة ضمن ثنائية المصاحبة بين (المعلم والمتعلم) مشكلة دلالة رامزة إلى الحقائق الكامنة في الموجودات في إطار هذه العملية التعليمية الحجاجية بين معلم ومتعلم:

متعلم: طلب المعلم بلطف (**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**).

معلم: التمس عذرا لهذا المتعلم، وأعطاه مسوغا: (**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**)، ووعدا مشروطا بالصبر، وعدم السؤال بينهما حتى اكتمال الدروس»[3]، لأن «المعلم

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص120-121.

2- سورة الكهف، الآيات 66-78.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص122.

الرجل الصالح كان قد تعلم علوما من معاملة الناس يعلّمها الله لموسى عليه السلام، فالتفاوت في العلم في هذا المقام تفاوت بفنون العلوم وهو تفاوت نسبي»[1]، فالكفاءة «التي يملكها الرجل في المشاهدات والغيبيات وقوة الاستشراف خوّلته لأن يكون معلما لسيدنا موسى عليه السلام، لذا جاءت العلاقة السليمة متفاوتة بينهما فيها تفاعلية واضحة في الأقوال والأفعال، ارتكزت على ترتيب الأقوال والأفعال عبر مسارات تصاعدية، ارتفعت في القول المفتاحي الذي شكّل العتبة الأولى للسلّم الحجاجي، وكذا بالنسبة للفعل الأول المفتاحي، وصولا إلى النتيجة، من خلال قيام المرسل بترتيب الأقوال والأفعال، لإثبات النتيجة النهائية التي يؤيدها ضمن أطروحته التي عرضها»[2].

3- أنواع السلالم الحجاجية:

أولا: السلم القولي: ويتمثّل في الأقوال الصادرة عن المرسل ضمن تراتبية تصاعدية.

ثانيا: السلم الفعلي: يتمثل بالأفعال الصادرة من المرسل.

- كيف تسقط الآيات السابقة من سورة الكهف على هذين السلمين (السلم القولي والسلم الفعلي)؟

تزداد درجة الحجّة كلما ازدادت «درجة تأثير المرسل في المتلقي عن طريق كفاءة المرسل في استجلاب إمكانياته وإدراجها في السلّم وضبطها بغية التصريح بالنتيجة، أو إرجائها في النهاية، كما عند الرجل الصالح الذي يستشرف الأحداث المستقبلية»[3]، ويمكن أن نستخرج من قوله تعال سلمين حجاجيين من خلال هذه القصة، حيث في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي**

1- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج.15، ص363.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص122-123.

3- المرجع نفسه، ص122.

﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74)قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78)﴾[1].

1- السلم القولي:

ويتمثّل في الأقوال الصادرة من المرسل كما في الشكل أدناه[2]:

ن: عدم الصبر

قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا.

قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا.

قال إنك لن تستطيع معي صبرا.

وكما هو معلوم فإن «السلّم الحجاجي لا يمثل صلب الحجاج في تدافع الحجج وترتيبها بحسب قولها، إذ لا يلبث غاليا إلا بالحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق، ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه، إذ جاءت الحجة القولية الأولى مؤكدة بحرف التوكيد (إنّ) المرتبط بضمير المخاطب الذي يعود على المرسل إليه (كاف الخطاب) للحاضر، مما أدى إلى توكيد عدم صبر موسى عليه السلام، ثم النفي المطلق بعدم استطاعته للصبر على هذه الصحبة بالدال اللغوي "لن" التي سيحقق نفيها نتيجة مرتقبة، لأن الرجل الصالح كان يعلم أنه ستصدر منه أفعال ينكرها سيدنا موسى عله السلام، وهذا ما يثبت تعارضا بين علمين:

1- سورة الكهف، الآيات 66-78.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص123.

1/ علم لدني (عند المعلم):

وهو العلم الذي عند المعلم: **(هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)**.

2/ علم (ظاهري) عند المتعلم:

وهو العلم القائم على الشريعة التي تأخذ بالمظاهر»[1].

حيث هذا «التعارض يولد أسئلة لدى المتعلم تؤدي إلى تقض الاتفاق، حيث أن الرجل الصالح ربما أراد أن يعلّم موسى عليه السلام الصبر حتى يحضره نفسيا لما سيلاقيه مع بني إسرائيل، وأن تعاقب الأحداث في هذه الرحلة بصورة سريعة جعلت موسى عليه السلام يعترض على معلمه بهذه السرعة، وعدم اكتمال رحلته مع معلمه لغرابة تصرفاته، وما هذه التصرفات إلا أعمال متعلقة بأحداث مستقبلية، وتأكيدا لهذه الفكرة جعلت وتيرة الحجج تتصاعد في النفي، وصولا إلى النهاية (عدم الصبر)، فالفراق، ولعل مردّ ذلك الفراق هو أن سؤال المتعلم يشغل المسؤول عن إكمال عمله، فتضيق به نفسه وتثير فيه بعض القلق.

2- السلم الفعلي:

ويتمثل في الأفعال الصادرة من المرسل كما هو مبين في الشكل أدناه:

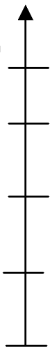

ن: الخضر عليه السلام أعلم من موسى عليا السلام.

تأويل الأفعال.

إقامة الجدار بدون أجر.

قتل الغلام.

خرق السفينة.

إذ هيمنت على السلم أفعال متدرجة تبعث على التعجيب المتضمن للوم، فجعلت العلاقة بين موسى عليه السلام والرجل الصلح متوترة بشدة، وانطلاقا من هذه الأفعال المتدرجة علت موسى عليه السلام يتراجع عن قراره بالصبر وبالنتيجة الصول إلى نهاية السلم الفعلي الذي أدى إلى إثبات حقيقة أن الرجل الصالح أعلم من موسى عليه السلام من خلال تأويل الرجل الصالح لأفعاله، ثم إقناع موسى عليه

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص124.

السلام بهذه الأفعال، وأنه يعلم ما لا يعلمه بإذن الله تعالى، فالحجج المساقة من الرجل الصالح أقنعت موسى عليه السلام لأن تأويلها كان مبنيا على أمور غيبية مستقبلية»[1].

كما أن النص القرآني «خبير بخطاب المتلقي إذ يصرفه بمقدار ويوزعه بأشكال، ولا سيما أن الحجج تأتي متدرجة تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، حتى لو كان النص يحمل سُلّمين متعاكسين على وفق قانون الخفض، كما في مشهد النعيم في سورة الواقعة»[2] في قوله تعالى: ﴿**عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (19) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21) وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (26)**﴾[3].

ويمكن التمثيل لهذا السلم بالآتي[4]:

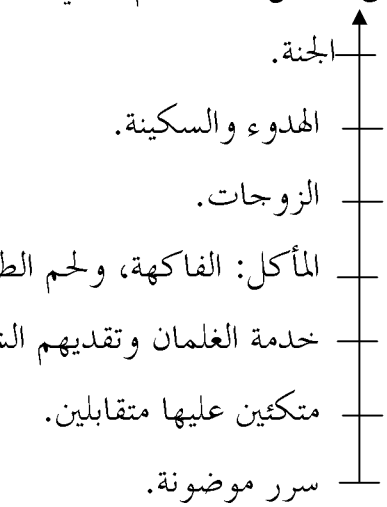

بدأ السلّم الحجاجي بذكر قطعة الأثاث (السرد)، إذ يشكّل تدرّجا ضمن حيز مكاني يمثل بمركز الاسترخاء والراحة للإنسان بعد تعب الدنيا وابتلاءاتها التي مرّ بها، وجاء وصف السرد بالموضونة أي محكمة ومنسوجة بقضبان من ذهب... وهكذا يصعد السلم إلى مرتبة

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص125.

2- المرجع نفسه، ص128.

3- سورة الواقعة، الآيات15-26.

4- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص129.

أقوى تأثيرا، من ذي قبل أو أعمق في الذهن، ثم الوصول إلى ما يجعل الإنسان في راحة بال بعد الزواج، وهو الهدوء والسلام ثم الوصول إلى النتيجة (الجنة)[1].

أما «السلم المختص بمشهد الجحيم فقد بدأ بالجو العام وهو ذو حيز يحيط بما سيأتي من حجج متدرجة في السلم، وتعدّ هذه الحجج وسائل فاعلة لترهيب المتلقي وحثّه على العمل الصالح، كي لا يأتي إلا هذا المكان المعادي له، لذا بدأ السلّم بالكل وانتهى بالجزء»[2]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (45) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (48) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (56)**﴾[3].

حيث يمكن أن نمثل هذا السلم كالآتي[4]:

- هذا نزلهم يوم الدين (جهنم).
- شاربون على المأكل من حميم.
- مالئون منها البطون.
- آكلون من شجر زقوم.
- سموم وحميم.
- أصحاب الشمال.

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص129.

2- المرجع نفسه، ص129.

3- سورة الواقعة، الآيات41-56.

4- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص130.

ويظهر السلّم الحجاجي بقانون الحفظ في قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15)**﴾[1]، كالآتي:

النتيجة: الهلاك.

فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها.

فعقروها.

فكذّبوه.

فقال لهم رسول الله: ناقة الله وسقياها.

إذ انبعث أشقاها.

كذّبت ثمود بطغواها.

يرتبط السلّم «منذ بدايته بقيمة إنجازية فعلية أدائية (التكذيب) ليس بسبب ضعف دعوى النبي صالح عليه السلام، وإنما لطغيان هذه القبيلة، وفرط كبرها الذي أوحت به لفظة (طغواها) التي جعلت الطغيان واسعا وكبيرا، ويبدأ السلم تأثيره في المتلقي بالانخفاض التدريجي لمعرفة هذا الطغيان، إذ انتقل إلى الأداء الإنجازي (انبعث) الذي يدلّ على تسرّع رجل من أشقى أهل القبيلة إلى عقر الناقة، ثم جاء لفظ عقروها بالجمع رغم أن العاقر واحد للدلالة على (أنهم رضوا عن فعله بل حرّضوه عليه) ، مما استوجب عقابهم على فعلتهم، فكانت آخر حجة مفضية إلى النتيجة وهي (الهلاك)»[2].

المبحث الرابع: الأفعال الكلامية:

الأفعال الكلامية:

تعد نظريّة الأفعال الكلامية من الموضوعات الأساسية للسانيات التداولية، والأخيرة تسعى للإجابة عن أسئلة كثيرة منها[3]:

- من يتكلّم؟
- إلى من يتكلّم؟

1- سورة الشمس، الآيات11-15.

2- محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، دار الكتاب الإسلامي، 2005، ج.7، ص571.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص132.

- ما ذا نقول حين نتكلّم؟
- كيف نتكلّم شيئا ونريد شيئا آخر؟

إن عمق العلاقة بين المرسل والمتلقي تأتي من سياق الموقف، لأن التواصل الإنساني يتم عن طريق اللغة التي تحقق إنجازا للأفعال الكلامية ذات الطبعة اللسانية.

وحتّى نلم أكثر بالموضوع تطرقّ المؤلف إلى أهم الأفعال الكلامية التي غلب استخدامها في السّور المكيّة، وهي:

1- الاستفهام.

2- الأمر.

3- النهي.

4- النداء.

1- مفهوم الأفعال الكلامية:

ظهرت هذه النظرية «على يد الفيلسوف (أوستين ***Austin***) كما جمعت محاضرات دي سوسير في كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"، فنجد الشيء نفسه عند أوستين، وقد جمعت محاضراته التي ألقاها في جامعة هافارد سنة **1955** في كتاب سمي كيف تفعل الأشياء بالكلمات»[1]، وهذا الموضوع يلمّح إلى أن بعض الأقوال التي ينتجها المتكلم في حالات معينة تتحول إلى أفعال ذات قيمة اجتماعية.

فـ«الأفعال الكلامية مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام وهو تيار الفلسفة التحليلية بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا»[2].

إن الفعل الكلامي يركّز على مقاصد المتكلّم، إذ يكون القصد هو تحديد لغرض معيّن لم يصرّح به، أو توبيخا أو تحذيرا، وقد قسّم أوستين الأفعال الكلامية في البداية إلى قسمين[3]:

أ/ الأفعال الإخبارية:

هي أفعال تقوم بوصف العالم الخارجي، والتي تحمل في كنفها الصدق أو الكذب.

1- محمد يونس علي، مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط.1، 2004، ص59.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، 2015، ص17.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص133.

ب/ الأفعال الأدائية والإنجازية:

وهي الأفعال «التي لا يصدر عليها الحكم بالصدق أو بالكذب ولا تقوم بالوصف، وحلا حتى بالإخبار»[1].

غير أن هذه الأقوال لا تضمن لنفسها التوفيق إلا بالخضوع للشروط الملائمة، وإن لم يتحقق ذلك كان الأداء شيئا ومن بين هذه الشروط نذكر[2]:

1- أن يكون الإجراء عرفيا، أي متعارف لدى الناس كالطلاق.

2- أن يحتوي الإجراء على كلمات معينة يتلفظ بها أناس معينين.

3- أن تكون ظروف المقام مناسبة لظروف المقال.

4- أن تكون للأشخاص كفاءة لتنفيذ الإجراء.

5- أن يكون الإجراء صحيحا.

أما أوستين لم يقتنع بهذا التقسيم، بل قسّمه في مرحلتين المرحلة الأولى إلى ثلاثة أقسام، والمرحلة الثانية قسّمها إلى خمسة أقسام[3]:

- **المرحلة الأولى:**

1- الفعل اللفظي:

إطلاق ألفاظ خاضعة لمستويات اللغة: صوتية، نحوية، صرفية...

2- الفعل الإنجازي:

هو الفعل الذي يتضمن الغرض من المعنى مقصد الكلام.

3- الفعل التأثيري:

ويتضمن أثر الكلام في المتلقي، سواء كان التأثير جسديا أو فكريا الغاية منه فعل الشيء أو تركه.

- **المرحلة الثانية:**

1- أفعال الأحكام:

1- يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، ص35-36.، ص35-36.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص133-134.

3- المرجع نفسه، ص134.

الأفعال الدالة على الحكم مثل التعيين: أعيّنك وزيرا.

2- أفعال القرارات:

هي أقوال تدلّ على اتخاذ قرار لصالح شخص ما أو ضدّه مثل النصح.

3- أفعال التعهد:

مثل أعدك بإحضار الكتاب.

4- أفعال السلوك:

وهي رد فعل المتكلم تجاه الآخرين كالاعتذار كقولنا أعتذر عن تأخري.

5- أفعال الإيضاح:

هي «أفعال تستخدم لتوضيح وجهة النظر وبيان الرأي»[1].

يحرص الخطاب المكي على حضور الأفعال الكلامية المباشرة في مخاطباته ولاسيما أن هذه الأفعال مما يتضمن في سياقها توجهات وتكاليف وانتباهات، ويعود إلى غاياته التبليغية التي لا تتم إلا بالحجاج فلأفعال الكلام في النص المكي إنجازات تعطي بعدا دلاليا ذات توجه قولي/تأثيري هدفه الإقناع وأن هذه النظرية –أفعال الكلام- تدرس النص على وفق المستوى الخطابي واللغوي وعلة وفق المستوى المتوارى من خلال السياق وما يتعلّق به كالآتي:[2]

1- الاستفهام.

2- الأمر.

3- النهي.

4- النداء.

أ-الاستفهام:

يعدّ الاستفهام «من الوسائل الحجاجية التي تحفز المتلقي، ويمكن من خلاله معرفة الموقف ضمنا أو علنا بقرائن السياق التي تثير المتلقي ولاسيما أن الاستفهام يرتبط بعامل القصدية، وهذه القصدية تكمن وراءها ردود أفعال منتظرة، وهذا ما يجعل الاستفهام شديد الإلزام لمشروطية الإنجاز»[3].

1- يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية، ص39.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص138.

3- المرجع نفسه، ص139.

ولما كان الاستفهام (أسلوبا لغويا أساسيا طلب الفهم)، فهذا يعني أنه يتّجه صوب تحريك آراء المتلقي ومعتقداته التي تكمن في ذهنه، وتندرج ضمن مقام مجتمعي، يسود فيه المتواضع عليه، لذا فالمقصود بالفهم على وفق تعريف الاستفهام التآلف هو حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيئته في العقل.

لقد حقّق الاستفهام في السور المكيّة أبعادا حجاجية في إبلاغ الخطاب ضمن بنيته التصديقية حيّزا يريد إلزام المتلقي ضمن التداولية النصيّة التي أدّت دورا تنبيهيا منطلقا من بنيته المعدولة بوصفها نافذة واسعة للفعل الإنجازي كما في قوله تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[1]، من خلال الآية يدعو يوسف عليه السلام صاحبيه في السجن إلى التوحيد، الذي يقوم على الاعتراف بوحدانية الله وحده لا شريك له، وهو مبدأ الرسل والأنبياء جميعا، وذلك لأن الاستفهام يحمل نفيا لتعدد الآلهة، فقد كمنت في النص طاقة حجاجية إقناعية، اتّجهت صوب التقرير والإثبات لوحدانية الله.

وقد أنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه أيضا الوثنية في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53)**﴾[2].

إن السياق النصّي والتداولي الوارد يحتوي بنى لغوية ذات خصائص ترتبط بمقامها الإنجازي، إذ إن الفعل الإنجازي المقترن بهذه يفضي إلى الحط من شأن التماثيل المعبودة.

وبرز في الاستفهام النمط الاستدلالي الذي أشار إلى أن عبادة التماثيل ما هي إلا إرث عبادي خاطئ جاء دون تأمل.

إنّ إبراهيم عليه السّلام كان يعي جيدا أن عبادتهم للأصنام تقليد للآباء، لكن استدرجهم بسؤاله حتى يلزمهم بالجواب الذي يتضمّن مكمن الخطأ، فالمقام ليس مقام استفهام حقيقي وإنما مقام استفهام المحاجة[3].

2- الأمر:

1- سورة يوسف، الآية39.

2- سورة الأنبياء، الآيتين52-53.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص143.

يضفي الأمر بعدا حجاجيا بوصفه قاعدة للإنجاز، وإن شيوع فعل الأمر في الخطاب القرآني ولاسيما السور المكية ليدل على استمرارية الحدث والزمن، ولعل مردّ ذلك إلى التعليم والاعتبار، وبالنتيجة التأثير والإقناع.

والأمر هو صيغة تستدعي الفعل أو قول ببنى عن استدعاء الفعل من جهة، والاستعلاء والإلزام وعلى أن هذا الاستعلاء قد يجانب معناه «ليفارق دلالته الحقيقية، فيفيد عددا من المعاني المختلفة في مقامات مختلفة، وعلى وفق مقاصد المتكلم وعلاقته بسامعه»[1].

ستقتصر الدراسة على فعل الأمر في صيغة "افعل" لأن هذه الصيغ أقوى من بقية الصيغ، كما أن المرسل يلقيها إلى المخاطب آمرا إياه بإقناع الفعل، فضلا عن كثرة ورود هذه الصيغة في الخطاب القرآني عامة وفي السور المكية خاصة كما في قوله تعالى: ﴿**إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55)**﴾[2].

فقد أشهد هود عليه السلام الله وأشهدهم على براءته مما يشركون بصيغة الأمر (واشهدوا) احتجاجا عليهم ثمّ تحدّاهم بهذه الصيغة الإنجازية تعجيز، وعدم مبالاته بهم وبآلهتهم.

كما جاءت الأفعال الإنجازية في قوله تعالى: ﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[3]، فالأفعال الإنجازية (اذهبوا/ فألقوه/ وآتوني) متحققة عن طريق الاستعلاء والإلزام، متّجهة نحو التوجيه والإرشاد من الآمر يوسف عليه السلام إلى المأمور (إخوته)، وقد أدّت إلى الحجاج نظرا لتغير الظروف والمقام، فدفعهم بطريقة مباشرة إلى الامتثال لأمره، وتحفيزهم على إنجازه على أكمل وجه وبتراتبية مدروسة، فالشرط المقامي قد ساهم إلى حدٍّ كبير في إنجازية الفعل الذي جاء ضمن مسارات المقام الرسمي، وبالتالي أصبح الامتثال لهذه الأوامر حجة عليهم وكالآتي[4]:

1- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية (نحو رؤية جديدة)، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، 1992، ط.1، بيروت، ص105.

2- سورة هود، الآيتين 54-55.

3- سورة يوسف، الآية62.

4- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص140.

الأفعال الإنجازية ← النتيجة.

1- اذهبوا بقميصي هذا. 1- عودة البصر إلى الأب.

2- فألقوه على وجه أبي. 2- تأكد الأب من حياة يوسف.

3- عدم تكذيب الأب لأبنائه هذه المرة.

فإنجازية هذه الأفعال جعلتنا نقارن بين القميصين[1]:

القميص الأول	القميص الثاني
- جرّ على يعقوب عليه السلام البلاء.	- جرّ عليه الشفاء والهناء.
- موقف أبنائه التعزية.	- موقف أبنائه التهنئة.
- يعقوب مكذب.	- يعقوب عليه السلام مصدق.

3- النهي:

للنهي «طاقة حجاجية فاعلة، لأنه يتضمن إنجازا لأفعال معينة تحت عنوان الترك والكف عن فعل ما، وإنجاز فعل مضاد له، بوصفه إنجازا ضمنيا»[2].

ولقد «أجمع العلماء على أن النهي يقتضي الفر والسرعة في التنفيذ»[3].

تتحقق صيغة النهي الإنجازية بصيغة (لا تفعل)، ولعل المرسل يتّخذ منه -النهي- معبرا إلى بنية حجاجية ضمنة ذات شحنة عميقة متصلة بالسياق كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾[4].

إذ تؤسس صيغة النهي فضاء للكف عن الركون إلى هل قاموا بالظلم، ولكي يكون النهي مؤثرا، ويعمق هذا الفعل الإنجازي بين عاقبة ذلك.

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص145.

2- المرجع نفسه، ص148.

3- فضل حسن عباس، البلاغة وفنونها وأفناها (علم المعاني)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط.4، 1997، ص154.

4- سورة هود، الآية113.

كما جاء في قوله تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا**﴾[1]، لبيان عاقبة من يشرك بالله، لذلك جاءت صيغة النهي تحمل غرض النصح والإرشاد عن طريق الكف وترك الشرك والتوجه إلى التوحيد.

4- النداء:

هو «بنية لغوية تنتج الإقبال حسا أو معنا، أو معا، ويتحقق بحرف مولد من الفعل (أدعو) أو (أنادي)، وقد يكون الحرف ملفوظا على مستوى السطح أو مضمرا على مستوى العمق.

فالنداء إذن: هو توجيه دعوة إلى المخاطب وتنبيهه إلى الإصغاء، وسماع ما يريده المرسل، ويجدر بنا الإشارة إلى أن المستعمل من أحرف النداء في الخطاب القرآني هو واحد وهو "يا" دون سواه، لأنّه أصل النداء وأوسعه انتشارا، ويدل على المسافات بأنواعها (قريبها، وسطها، بعيدها). النداء لا يؤتى بها لمجرد لفت الانتباه والإصغاء فحسب، وإنما يؤتى به لتنفيذ فعل إنجازي ما عن طريقه، لذا دخل في الأفعال الكلامية»[2]، في مثل قوله تعالى: ﴿**قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ**﴾[3]، إذ حقق «النداء هدفه الإنجازي المباشر بإعجازية إلهية، كلفت النار أن تكون بالضد من طبيعتها الحارقة فالنداء جاء توجيهيا حفّز المتلقي أو المنادى (النار) لينفذ ما سبق له من تكليف.

إن مقصدية المنادي (المرسل) الله عز وجل كانت تحويل طبيعة النار من المحرقة إلى صفة البرد والسلام»[4].

المبحث الخامس: التكرار:

يسعى هذا المبحث لدراسة التكرار بعيدا عن صفته الصوتية حيث ركّز المؤلف على التكرار لكونه ظاهرة حجاجية، حيث حاول تحديد مفهومه من وجهة نظر الحجاج، ثم محاولة تحديد دوافع توظيفه في السور المكية.

1- سورة الإسراء، الآية22.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص151.

3- سورة الأنبياء، الآية69.

4- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص151.

إن «التكرار يخدم النص لأنه يذكر به عن المعاودة، فالنص المكرر الثاني يحيل إلى ما قبله بصفة جديدة، لأن النص المكرر هو الذي يعول عليه، ويرتبط النص المكرر بالمتلقي، من حيث أن المرسل يردده بغرض دلالي غايته التأثير والإفهام»[1].

التكرار لا يأتي إذن في الكلام إلا لغاية حجاجية، إذ إن ذلك الترديد الذي يحدثه المرسل في خطابه ينتج زيادة في حضور الفكرة في ذهن المتلقي، الأمر الذي يؤدي إلى قبول الفكرة والاقتناع بها، لأن التكرار يضيف عناصر تأثيرية وحجاجية جديدة إلى العلاقة السّابقة لغاية إقناعية حجاجية ضمن الغرض المصاغ لغويا.

لا شك أن الشيء الذي يتواتر ينهض على تعظيم شأنه لذا عدّ التكرار ظاهرة بيانية تؤدي إلى إعطاء أهمية معينة للنص المكرر من خلال التتابع الشكلي والمضموني «فهو يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة»[2] وهذا يعني أن يسلّط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، مما يكشف عن اهتمام المرسل بها.

التكرار في الكلام حالة نفسية كثيرا ما يجريها المرء من غير تفكير أو تعمد، فنحن نكرر الكلام للتنبيه ونكرره للكثير، ونكرره للتوكيد والمبالغة، ونكرره لاستحضار المعنى في أنفسنا وفي أنفس السامعين، وللوقوف على الأبعاد الحجاجية لهذه التقنية، وما يترتب عليها نورد بعضا من الآيات التي فيها التكرار، كقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[3]، إذ يرتكز التكرار على ترديد الفعل الماضي (رأيت) لشحن النص بطاقة حجاجية تفضي إلى توكيد هذه الرؤية حتى يتأثر المتلقي بها، مما عزّز القطع بهذه الرؤيا وصحّتها، فقط كرر فعل الخشية لتناسي الفعل الأول، لأن الانطلاقة الحجاجية في النص هي (الرؤيا) التي أراد يوسف عليه السلام أن يوضحها ويثبتها لأبيه يعقوب عليه السلام، لذا جاء التكرار في الخطاب فاتحا فكرة مصحوبة بالحاجة إلى التصديق لكي يتعزز المعنى، ويلاحظ هذا من خلال توجيه القول إلى واحد وهو يعقوب عليه السلام، وأن تكرار فعل الرؤيا أعطى لها قيمة.

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص154.

2- المرجع نفسه، ص155.

3- سورة يوسف، الآية4.

إن الفعل الثاني (رأيتهم) جاء بـــ: «إعادة الضمير هم على الكواكب لأنها ســـجدت والسجود من صفات العقلاء، هو سجود للكواكب ليوسف عليه السلام أعطى قيمة حجاجية لتحقق هذا السجود وصدقه فيما بعد، فالتكرار قد عمّق الإحساس بصدق الرؤيا»[1].

ويأتي التكرار «لإبراز الحجة وتجلياتها، لشدّة انتباه المتلقي والهيمنة على تركيزه، مما يجعل منه بنية حجاجية تربط النص بالقصدية المطروحة في الخطاب، فالتكرار قد يأتي في صورة غـــير مألوفة، فيبدو واضحا أن لهذا التكرار مقصدا آخر غير التوكيد، وهو الدور الحجاجي الـــذي يحقق رابطا بإقامة علاقة جديدة، ذات تأثير في الخطاب كقوله تعالى: ﴿ **قَـــالُوا آمَنَّـــا بِـــرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48)**﴾[2]، فتكرر كلمة "رب" مضافة إلى موســـى عليـــه السلام المعطوف عليه بـــ"هارون"، ساهمت لفظة "رب" في خلق بناء انسجام حجـــاجي، لأن اللفظة الثانية تضطلع في النص بدور حجاجي، حدّده التكرار، فربّ موسى وهارون "عطـــف بيان" لرب العالمين، لأن فرعون كان يدّعي الرّبوبية، فجعلوا رب العـــالمين هـــو رب موســـى وهارون، وبالتالي إنكار وتكذيب دجل فرعون، ففرّقوا بينه –فرعون– الذي ادعى الألوهيـــة، وبين الله الواحد الأحد، فهو رب العالمين بصورة عامة وإله موسى وهارون بصفة خاصة، وبهذا قدّم التكرار حجة واضحة تثبت الألوهية لله الخالق الواحد الأحد الذي عبده موسى وهـــارون ونفى الربوبية على كل من ادّعاها غيره»[3].

شكّل التكرار ضمن بنية النداء مزجا حجاجيا، بوصفه إعادة لمشابه له كمـــا في قولـــه تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَـــاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39)**﴾[4]، إذ ارتبط النداء المكرر ببعد حجاجي، لمـــا سيأتي بعده، كون النداء أسلوب تنبيه صوتي لأمر عظيم الشأن.

ففي العربية إذا روت الأخبار عن أمر عظيم جعلته نداءً، فالمنادى المكرر "يا قوم" جـــاء مرتكزا أساسا للفت المتلقي صوتيا، ويحتج عليه بزوال هذه الحياة الفانية، وثبوت الحياة الآخرة،

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص155-156.

2- سورة الشعراء، الآيتين:47-48.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص156.

4- سورة غافر، الآيتين:38-39.

فالمتاع مؤجل، والقرار دائم، فضلا عن أن السياق قد قصر الموصوف على الصفة، لتعضيد زوال الحياة الفانية، لأن المنادى (يا قوم) أحكم ما بعده، ساهمت في تمتين النص.

وقد شكّل تكرار عبارة "ليلة القدر" دلالة حجاجية مكثفة حجاجية تلفت المتلقي إلى التأثر بهذه الليلة المباركة، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)**﴾[1]، فليلة القدر عالية الشأن رفيعة المترلة. ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4)**﴾[2]، وجاء تكرارها واقعا في حيز الإضافة، لتمييزها عن باقي أيام رمضان، فدلّ التكرار على هذا العلو والرفعة في القيمة والشأن، حيث جاء التكرار مصحوبا بعدّة أدلة مرتبة ترتيبا حجاجيا تصاعديا حتّى وصل الحجاج إلى قوله: «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

1- سورة القدر، الآيات: 1-5.

2- سورة الدخان، الآية4.

عَرضٌ وَدِرَاسَةٌ

الفَصْلُ الثَّالِثُ

أسلوبية الحجاج البلاغي

المبحث الأوّل: التمثيل.

المبحث الثّاني: الاستعارة الحجاجية.

المبحث الثّالث: الالتفات.

المبحث الرّابع: التقابل.

المبحث الخامس: التفريع.

الفصل الثالث:

أسلوبية الحجاج البلاغي

تمهيد:

إن للأثر البالغ والفاعل الذي تؤديه العلوم البلاغية في تقوية الحجاج، لما تحققه هذه العلوم من تأثير في المتلقي، وتيسر السبل للمرسل من أجل إقناع المتلقي، جعل دراسة أسلوبية الحجاج البلاغي في هذا الفصل حتمية لا مفر منها، حيث ركز المؤلف في هذا الفصل على رصد الحجاج من الناحية البلاغية، وذلك بالتطرق لعلوم البلاغة (المعاني، البيان، والبديع)، وذلك بالتركيز على الآليات البلاغية أيضا وهي[1]:

1- التمثيل.

2- الاستعارة.

3- الالتفات.

4- التقابل.

5- التفريع.

المبحث الأول: التمثيل.

التمثيل هو «طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما، وإنما يرتبط بعلاقة تشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة»[2].

إن تمثيل شيء آخر لا يتم بصورة اعتباطية، بل يأتي ذلك عبر الصلة التي توحد بينهما، وهذه الصلة تكون معروفة سلفا وشائعة في الواقع، وبهذا يتم ثبات هذه الصلة وتمثيلها في الذهن لأنها ستكون مؤثرة عن طريق هذا التمثيل.

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص165.

2- المرجع نفسه، ص.165.

ويعدّ بيرلمان أن «الحجاج بالتمثيل مشروط بأن المثل المستعمل عليه أن يكون داعما لقضية ما، كي يصبح الحجاج مؤثرا، لأن التمثيل ينتقل من حالته الخاصة ذات القبول عند المتلقي إلى حالة عامة تضم الرأي المدافع عنه»[1]، ومن هنا ينهض التمثيل بوصفه شكلا من أشكال البرهنة التي تقوم على التأمل.

المماثلة «قبل كل شيء هي تأسيس علاقة بين ما يراد الدفاع عنه (ما يسميه الموضوع ***(Le Thème)***، ويبين عنصر يجري البحث عنه في موقع آخر من الواقع هو المثيل ***(Le phore)*** والذي يكون مقبولا سلفا لدى المتلقي، وذلك على عكس المثال، حيث يجب أن يكون الموضوع والمثيل ينتميان إلى مجالين مختلفين، وإلا الأمر لن يعدو أن يكون ببساطة حالتين لقاعدة واحدة»[2].

إن «السمة الأخرى التي تميز المماثلة بالنسبة "لبيرمان" هي أن الأمر يتعلق بتشابه العلاقة أكثر منه علاقة تشابه، بمعنى أن المماثلة تقيم علاقة في داخل الموضوع وعلاقة في داخل المثيل.

إن المماثلة عموما هي إقامة علاقة ربط بين (أ) و(ب) في الموضوع وعلاقة ربط (ج) و(د) في المثيل، هذه العلاقة الرباعية تشكل أحيانا لتجتمع في رابط من ثلاثة أطراف، مثلما نجد في هذا النص المنسوب لهيراكليت ***(Héraclite)***، حيث الإنسان الساذج في نظر الإله بنفس درجة سذاجة الكفل في عيون الرجل»[3].

لقد أخذ «التمثيل مسارا تأثيريا في الخطاب المكي، إذ يكشف عن البعد الآخر (المضمر) عن طريق استثمار البعد الإيحائي المؤثر بإسباغ فعالية حجاجية، وجعلها مقرونة متداخلة في التمثيل، فهو لا يمثل الدرجة العالية من درجات التشابه بين الشيئين، أي بتجاوز المتوسط إلى شيء أعلى منه درجة، وهذا ما يجعله مقصود الفهم والإدراك، وكذلك لتكثيف ما يراد إفهامه، والاحتجاج به، لأن المتلقي يدرك في أعماقه العلاقة بين الطرفين المسوقين تمثيلا بشكل أسهل،

1- فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظرية الحجاج، ص55.

2- المرجع نفسه، ص55.

3- المرجع نفسه، ص56.

إذ يمكن القول: إن الوظيفة النفسية للمثيل ملتصقة فيه التصاقا في معالجته البلاغية كافة، إذ بكل باب من أبواب البيان نلمس الأثر النفسي رفضا واستجابة، من خلال رصد المثل لمهمته (الحجاجية) والتعبيرية، وهذه المهمة تقرّ بأنّ استعمال التمثيل استعمالا حجاجيا بما يقدّمه لنا من تصور لنا من تصوّر الأشياء، لأن للمثل قاعدة تشكل قانونا يقوي درجة التصديق لنا من تصوّر للأشياء، لأن العمل للمثل قاعدة تشكل قانونا يقوي درجة التصديق بتقديم حالة خاصة، توضح القول بطابعه العام وتقوي حضور هذا القول في الذهن، إذ إن المثل يؤتى به للبرهنة ولتأسيس قاعدة قصد تقوية حضور الحجة.

إن دراسة الأساليب القرآنية في التأثير والاستمالة كثيرا ما تؤدي إلى فهم الصورة القرآنية على أنها طريقة في الإقناع تتوسل بالإبانة والتوضيح، معتمدة على لون من الحجاج والجدل لتحرص على إثارة المتلقي واستمالته»[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[2].

إذ جاء «التمثيل متكأ في النص على الجانب المعنوي الحاصل من الألفاظ، وإنما لوحظ انتزاع حال الفريق الأول (الكافرون) مع مقارنته مع الفريق الثاني (المؤمنون) بمثيلها ضديا، وقد ورد تمثيل الفريق الأول كمن جمع بين العمى والصمم، وأما الفريق الثاني، فورد بمن جمع بين البصر والسمع، وكأنه انتزع من الفريق الأول نصاحهم وتعاميهم، ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران، وإن استحضار الأعمى والأصم، والبصير والسميع جاء تثبيتا للفكرة، وأعنى بها عدم الاستواء بينهما عقلا وعرفا، وهذا ما أدى بالتمثيل إلى الفاعلية الإقناعية بوصفه مؤثرا في النفس من خلال سرعته في الرؤية التأملية التأويلية.

إن مادة التمثيل غالبا ما تكون من المحسوس، وهي مما يشاهده المتلقي ويلم به في حياته، فالعنكبوت كائن يوجد في البيوت، إذن التمثيل ترشح عن الحيز المادي المحسوس، وإن المثيل

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص170-171.

2- سورة هود، الآية24.

(العنكبوت وبنيته) يمثل مادَّة معروفة، وإن مدار التمثيل حول بيته الواهن مما اتخذه الإنسان دون الله، مما جعل التمثيل يرفع من صلاحية الصورة البوحية لبيت العنكبوت إلى مستوى التأمل المفضي إلى التأثر والإذعان، كما أن التمثيل في الصور المكية جاء عابرا للزمان والمكان، بمعنى أنه ثابت من عصر إلى عصر حتى لو تغيرت أجيال المتلقين، وبصورة عامة جاء التمثيل في السور المكية مبنيا على ما اتُّفق عليه لكي ينفع المتلقي بشيء غير متفق عليه».[1] وهذا ما لخصة الآية في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[2].

المبحث الثاني: الاستعارة الحجاجية:

إن الاستعارة الحجاجية «إحدى أهم ناقلات المعنى من حيز إلى حيز ضمن مشروطية الاشتراك بينهما بآلية استبدالية تكون جزءا حيا للثاني.

ومن المشترك هذا برزت علاقة المشابهة فيها بين المستعار منه والمستعار له، إذ يتمركزان على آلية الجمع التي تفضي بنا إلى التخييل ثم التأثر فالإقناع، ومن هنا عدت الاستعارة وسيلة تواصلية في النص.

الاستعارة من أهم خصائص الخطاب في اللغات بشكل عام، والخطاب الحجاجي خاصة، لأن الاستعارة لا ينظر إليها اليوم بنظرة التزيين والزخرفة، وإنما ينظر إليها أداة أو آلية من آليات الإقناع، ضمن الواجهة الحجاجية للخطاب»[3].

عدّت الاستعارة ضمن النظرية اللسانية الحديثة (الحجاجية) أداة من أدوات الإقناع لما لها من أثر في اللغة والفكر على حدٍّ سواء، إذ ليست الاستعارة سوى مجاز يحيل إلى فضاء تخييلي في اللغة، بل في عملية استبدال وتحويل داخل الوعي نفسه، ومن خلال هذا الوعي تتم آلية الحجاج بالاستعارة عن طريق تحول المعنى المتخيل إلى صورة حسية غالبا، تفضي بنا إلى التخييل، فيتم

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص175.

2- سورة العنكبوت، الآية41.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص176.

لفت انتباه المتلقي، وبالنتيجة نعطي للخطاب قوته الدلالية التأثيرية ضمن بنية حجاجية إيضاحية، تصويرية لتغيير مسار الذهن وتحفيز المتلقي بصورة أعمق، لذا عدت الاستعارة أكثر تأثيرا وأبلغ من التشبيه لأن (الحس بالشيء ورؤيته في الاستعارة)[1].

وليست الاستعارة الحجاجية هي ذاتها الاستعارة البديعة من عدّة أوجه يمكن تلخيصها[2]:

أ/ الاستعارة الحجاجية:

1- تهدف إلى تغير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي.

2- ترتبط بالمتكلمين وأهدافهم.

3- لها مقصدية حجاجية.

4- من أهدافها الإقناع.

5- ذات سياق تواصلي وتخاطبي.

6- الغاية الحجاجية الإقناعية التأثيرية.

ب/ الاستعارة البلاغية:

1- تكون مقصودة لذاتها.

2- لا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم.

3- سياقها هو سياق الزخرف.

4- الهدف منها إظهار الأدباء تمكنهم من اللغة.

5- الغاية الجمالية.

تعتبر «الاستعارة الحجاجية من اكبر الوسائل البلاغية التي تسهم في الإقناع وجمالية الخطاب، وأكثر من الآليات الحجاجية التي يلجأ إليها المرسل، حيث تتميز بالقدرة على الفعل

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص177.

2- أسماء يسعد، ولامية مقرع، الآليات الحجاجية البلاغية في رباعيات عمر الخيام، مذكرة ماستر، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2017، ص88.

في المتلقي لأنها تزيد الكلام رونقا وجمالا وسحرا، ومما يؤكد اقتران الجمال بالإقناع والاستحالة الفصل بينهما، فالمعنى لا يكون مقنعا ولكنه يحتاج إلى جمل يحفظ له رونقه، ويدعم فعله»[1].

لقد جاءت أكثر الاستعارات الحجاجية «في السور المكية في محسوس المعقول، لأن الغرض منها ليس التصوير والزخرفة بقدر تحفيز الذهن، والتأثير فيه وتغيير سلوكه، فالصورة لم تكن حلية تزدهي بقدر ما هي رؤية واعية وإحساس جمالي عالي يراد منه توصيل الخطاب إلى متلقيه، وضمن ما ذكر سابقا تم توظيف الاستعارة حجاجيا في السور المكية، ضمن متصدية توصيل الخطاب بصورة مؤثرة كما في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[2]، إذ آثر الخطاب القول الاستعاري الحجاجي على القول الحقيقي، لكي يكون الإحساس بالفكرة مؤثرا ومقنعا، وأكمل في النفس لأن التذوق يتم بسرعة كبيرة، لذا لم تقف الاستعارة على حد كلمة (أذاق/لباس) بل تعدت إلى حد التضايق الإقناعي الذي يحتضنه السياق الذي جعل من الاستعارة الحجاجية لها قدرة خاصة على تأسيس نسق جديد من التضايف، يحمل الواقع على اللاواقع، ويرمي إلى ماهي اللاماهي، عبر استحضار حاسة الذوق، بدلا من استعماله، لشدّة أثر الذوق في المتلقي، وازداد هذا الأثر ضمن طاقة إقناعية إضافية باستعارة اللباس للجوع والخوف، حيث قال تعالى: "لباس الجوع" ولم يقل طعم الجوع، وهكذا تم الانتقال من حقل اللفظ الاستعاري إلى حقل المعنى المقنع المؤثر في النفس»[3].

ويكمل الخطاب القرآني ضمن قوله الاستعاري الذي يهدف إلى التأثير والإقناع وإحداث رنة وجدانية عن الابن كما في قوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾[4]، فقد وردت «قيمة الاستعارة الحجاجية بتوظيفها

1- أسماء يسعد، ولامية مقرع، الآليات الحجاجية البلاغية في رباعيات عمر الخيام، ص89.

2- سورة النحل، الآية112.

3- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص183.

4- سورة الإسراء، الآية24.

الجناح ضمن سياق إضافة الذل له، لإقناع المخاطب بالخضوع وطاعة والديه، والحث عليه ببدء السياق بفعل إنجازي واجب وهو (اخفض) الذي حفّز الذهن لتلقي مقبولية الذل من خلال استعادة أداة الطائر له، فأدى ذلك دور التوسع في العطف والدفء، كما أن هذه اللازمة (الجناح) تكاد تكون أهم لازمة للطير، لأنه لا يستطيع التحليق إلا بهما، وأن أي خلل في الأجنحة يؤدي إلى السقوط، لذا لا يمكن للمرئ الوصول إلى الله دون طاعة والديه»[1].

المبحث الثالث: الالتفات:

إن البلاغة «ليست منهجا لإنتاج الأفكار والآراء، وإنما للدفاع عنها والاقتناع بها، وبالتالي فإنها تعتبر نظرية لتشكيل الرأي باتجاه متلق ما، فهي تختلف تماما عن الديداكتيك الأفلاطوني، الذي هدفه البحث عن الحقيقية والحكمة، وبالتأكيد هذا الفصل بين الفكر وبين التعبير عنه، ينظر إليه الكتّاب التقليديون (مثل شيشرون) على أنه ضار، لكنه في ذات الوقت يطرح شروط المهتم بين الفلسفة والبلاغة على الرغم من كل شيء»[2]، وهذا ما تملكه البلاغة من الآليات التي تحقق الإقناع والتأثر أهمها (الالتفات).

الالتفات لغة: «لَفَتَ وجهَه عَنِ الْقَوْمِ: صَرَفَه، والْتَفَتَ التِفاتاً، والتَّلَفُّتُ أَكثرُ مِنْهُ. وتَلَفَّتَ إِلى الشَّيْءِ والْتَفَتَ إِليه: صَرَفَ وجْهَه إِليه»[3].

أما اصطلاحا فنقول: «نَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ آخَرَ تَطْرِيَةً وَاسْتِدْرَارًا لِلسَّامِعِ وَتَجْدِيدًا لِنَشَاطِهِ وَصِيَانَةً لِخَاطِرِهِ مِنَ الْمَلَلِ وَالضَّجَرِ بِدَوَامِ الْأُسْلُوبِ الْوَاحِدِ عَلَى سَمْعِهِ»[4].

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص184.

2- فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص56.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج.2، ص84، مادة (ل ف ت).

4- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط.1، ج.3، ص314.

فالالتفات من «المباحث البلاغية التي استخدمت في الدرس الحجاجي لما لها من أثر في المتلقي»[1].

لأن موضوع الالتفات متنازع بين علوم البلاغة (بيانا وبديعا ومعان)، حيث يجعله ذلك أكثر تشعبا، لذلك توقف المؤلف في بحثه عن الالتفات في مستوى الضمائر، ومستوى الزمن محاولا تحليل ما أدّاه من وظيفة حجاجية تتعلق بحضور المضمون بقوة في السياق[2]، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[3]، إذ عدل من ضمير المتكلم الحاضر بآياتنا إلى (وسبحوا بحمد ربهم) دون القول وسبّحوا بحمدنا بغرض تعظيم الشأن للذات الإلهية، والاحتجاج بالآيات الباهرة، إذ أن التعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الإضافة إلى ضمير "هم" للإشعار بعلة التسبيح والحمد، وبأنهم يفعلونها بملاحظة ربوبيته لهم، ولو أمعنا النظر لوجدنا سيرورة السياق بدأت بالحصر والقصر للإيمان بالذين يذكرون بها –آيات الله– وأن هذا الأسلوب التخاطبي بإسناد ضمير التعظيم الجمعي "نا" إلى الآيات، جاء ليستدعي الانتباه إلى عظمة هذه الآيات تؤدي إلى فعل "السجود والتسبيح". كما يسند الضمير للمتكلم، إلى ذات أخرى، هي التي تمثل نقطة مركزية في السياق كقوله تعالى: ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[4]، فضمير «المتكلم (أعبد/فطرني) حقق عدولا نسقيا بالتفاته إلى الخطاب الحاضر (إليه ترجعون) لاستنهاض لذهن، فثمة مقتضى حجاجي منع النص تواصلية حضور المرجع (الخالق) الذي نرجع إليه ليؤدي دورا إقناعيا يتلاءم مع عبادة الخالق، فالنص ينهض بالتعجب السماعي الذي حققه الاستفهام، لإرساء علاقة بديهية، عبادة الخالق ودفع ذلك الالتفات إلى تنمية الوجدان وتحريك العواطف، ولقد حُصِر الالتفات في القرآن الكريم بما يقارب مائة وسبعة وخمسين مرة، ويعود سبب كثرة

1- يوسف أبو غليون، الحجاج في النص القرآني، ص88.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص192.

3- سورة السجدة، الآية15.

4- سورة يس، الآية22.

استخدامه في القرن الكريم إلى ملائمة هذا الأسلوب موضوع مناقشة الكفّار والكفر، حيث أن غاية الالتفات هي الانتقال من تعبير رتيب درج عليه نظم الكلام وأنس إليه المتلقي إلى تعبير جديد على غير ما يتوقعه»[1].

المبحث الرابع: التقابل:

والطباق قد يكون ظاهر كما ذكرنا من قبل، وقد يكون خفيا، كقوله تعالى: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا**﴾[2]، طابق الله عزّ وجل هنا بين (أغرقوا) و(أدخلوا نارا) وقول أبي تمام[3]:

مهما الوَحْشِ إلاَّ أَنَّ هَاتَا أَوَانِسٌ قنا الخَطِّ إلاَّ أَنَ تِلْكَ ذَوَابِل

فقد طابق هنا بين "هاتين" و"تلك"، والطباق ينقسم إلى نوعين[4]:

1/ طباق الإيجاب: كما تقدّم.

2/ طباق السلب: هو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت أو منفي أو أمر ونهي، كقوله تعالى: ﴿**وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)**﴾[5]، وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[6].

أي «لا يعصون الله في الحال ويفعلون ما يؤمرون في المستقبل، وفيه نظر لأن العاصي يضاد فعل المأمور به، فكيف يكون الجمع بين نفيه وفعل المأمور به تضادا»[7].

1- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص192.

2- سورة نوح، الآية25.

3- ديوان أبي تمام، ج.3، ص116.

4- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان، والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ط.1، ص88.

5- سورة الروم، الآيتين: 6-7.

6- سور ة التحريم، الآية6.

7- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان، والبديع، ص.89.

ولقد منح الخطاب «قوة تهديد ووعيد في قوله تعالى: ﴿**وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [1]، ففي قوله: «"ويمح الله الباطل" وعيد بأنّ الكافرين دينهم زائل»[2]، فجاء «فعل "ويمح" مرفوعا وحقّه ظهور الواو في آخره، ولكنها حذفت تخفيفا في الآخر في النطق، فحذفت من الرسم»[3].

فحذفها «يؤدي دلالة نفسية عند المتلقي بسهولة وخفة خلال الضديّة التي بنيت بفضل التقابل بين دين الباطل ودين الحق، فترع التقابل لإثبات صدق دين الله عن طريق إثبات الصراع مع دين الكفار، فيقف المتلقي ممحصا في الأطروحتين، ويكوّن قناعة بأن دين الباطل زائل ودين الله تعالى باقٍ»[4].

ويمتلك «التقابل تأثيرا قناعيا يتجلى بجمعه بين الأضداد ليخلق بذلك تداعيات ذهنية ونفسية متعاكسة، يعمل المتلقي على الموازنة بينها موازنة وجدانية أو دلالية، كما في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**﴾[5]، وذلك عن طريق إحاطتهم بسدين معنويين غطيا أبصارهم، أي أنّهم حبسوا في جهالتهم وغشاوتهم، لأنهم حرموا أنفسهم من نعمة التأمل في آيات الله، فهم في ظلمة داكنة لا تختلج العين من جانبها بقيس ولا تتسوم بصيصا من ضوء، فالتقابل الاتجاهي (بين أيديهم) وبين (من خلفهم) استوعب المحيط المكاني الخاص بهم، ولاسيما لفظة (بين أيديهم) والتي تدلّ وتوحي على قرب السد منهم أكثر من كلمة أمامهم، دون أن يبصروه، فالتقابل تحرك في اتجاهين أفقيين، وبهذا تم تقوية المعنى المطروح في السياق وهو نجاح خروج الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق استيفاء التقابل ضديا وعليه تم إثبات الدلالة العامة للنص من خلال بناء النص على عدم إبصار الكفار الذين يرومون شرا بالنبي صلى الله عليه وسلم»[6].

1- سورة الشورى، الآية24.

2- هاني يوسف بوغليون، الحجاج في النص القرآني، ص118.

3- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج.25، ص87.

4- هاني يوسف بوغليون، الحجاج في النص القرآني، ص119.

5- سورة يس، الآية9.

6- ينظر: صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص198.

وتأتي المقابلة بين الأضداد من باب التناقض من خلال مقابلة الشيء بضدّه، فتكون المقابلة في المعنى دون اللفظ في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾[1]، فالله تعالى قد نظّم حياتنا في الليل والنهار، فلا يخرج عن محيطها، ليوصل المتلقي للخروج بنتيجة يدرك من خلالها دقّة التدبير الإلهي فتكون قوّة مؤثرة تدفعه إلى التفكير في مدبر هذه الشؤون له حيث يوضّح التقابل في هذه الآية على المخطط الآتي[2]:

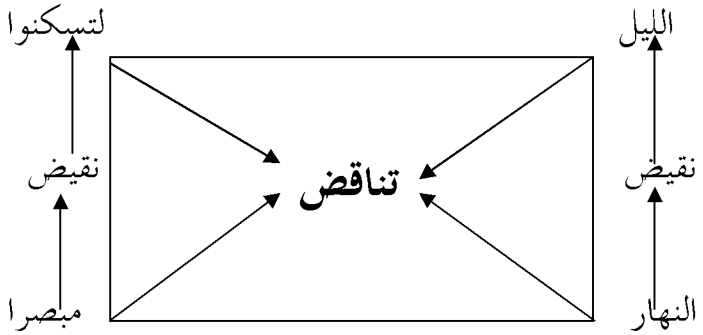

فالمقابلة هنا «أداة تستجيش في الإنسان قلبه وفكره، فتدفعه للتفكر في خالق الكون ومدبّره»[3].

المبحث الخامس: التفريع:

التفريع ظاهرة بلاغية لها دور حجاجي، يجدر بنا أولا التعرف على مفهومها قبل الخوض في الدور الذي تؤديه في العملية الحجاجية ومقارنتها مع مصطلح (التفريغ).

التفريغ: «(اسم) مصدر الفعل (فرّغ)، فنقول قام العمّال بتفريغ السفينة: إخراج ما فيها من مواد إنزالها منها: فرّغ الشيء: أخلاه»[4].

والتفريع: هو «ذكر المرسل حجّته كاملة في أول الأمر ثم يعود إلى تعداد أجزائها»[5]، أي الانتقال من الإجمال إلى التفصيل في عرض الحجّة.

1- سورة يونس، الآية67.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص199-200.

3- هاني يوسف بوغليون، الحجاج في النص القرآني، ص119.

4- www. Almany.com.

5- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص201.

فالمرسل يقوم «بطرح قضية ما، ثم يقوم بتفريعها إلى أجزاء على أن تكون هذه الأجزاء حججا لها، لتكون داعمة لقضيته ودليلا عليها»[1].

والجدير بالذكر أن «الأجزاء المتفرعة عن الكل قد لا تذكر كلّها بل يذكر أهمها ولاسيما الأجزاء المذكورة، يجب أن يكون لها دور بارز في دعم الخطاب، فالمرسل يطرح قضية كليّة، ثم يقوم بتقسيمها عن طريق أجزائها التي هي مجموعة من الحجج، وكل واحدة منها تدعم هذه القضية في ذكرها الكلي»[2].

1- عبد الهادي بن طافر الشعري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، ليبيا، 2004، ط.1، ص494.

2- صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص201.

نَقْدٌ وَتَقْوِيمِ

نقد وتقويم:

1- مدى تطابق العنوان مع المتن:

إنّ الاتّساق والانسجام بين عنوان النص ومضمونه في هذا المؤلف الثمين، الذي يعتبر مكسبا لغة العربية عموما، ومجال الحجاج خصوصا، فعندما نقدم إلى العنوان: "أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية"، ثم نقارن مع المضمون، فنجد كل كلمة من العنوان لها أثرها البالغ والواضح في النص.

أ- فكلمة الحجاج: قد خصص لها التمهيد الذي يتطرّق فيه إلى مفهوم الحجاج في المعاجم اللغوية وأمهات الكتب مثل "لسان العرب" لابن منظور، ثم قارنها ببعض المصطلحات والمفاهيم التي تنتمي إلى نفس المجال ليرصد لنا أوجه التشابه والاختلاف، وأهم هذه المصطلحات: الخطاب، النص، كما بيّن الاهتمام بالحجاج وتاريخه عند العرب والغرب.

ب- أما كلمة أسلوبية: فخصص لها الفصل الأول بعنوان: "أسلوبية الخطاب الحجاجي"، فتطرّق فيه إلى معاني "الأسلوبية" وبيّن الفرق بين أساليب الخطابات المختلفة مع أسلوبية الخطاب الحجاجي.

ت- كلمة "التداولي": فخصص لها الفصل الثاني الذي عرّف فيه التداولية، وبين أهميتها في الدراسة اللغوية عند الغرب أولا، ثم بداية اهتمام العرب بها -التداولية- في درسهم اللغوي، من مرحلة الظهور إلى مرحلة النضج، ثم التطرق إلى أساليب الحجاج التداولي المتمثلة في:

- الروابط الحجاجية.
- العوامل الحجاجية.
- السلالم الحجاجية.
- الأفعال الكلامية.
- التكرار.

ث- كلمة البلاغي: فقد خصّص لها الفصل الثالث بعنوان: "أسلوبية الحجاج البلاغي في السور المكية" والذي عالج فيه مفاهيم البلاغة ومدى الاهتمام بها عند العرب وغيرهم، ثم تطرّق إلى الأساليب البلاغية التي تحقق الوظيفة الحجاجية، حيث عالج بعض الآليات البلاغية مثل:

- التمثيل.
- الاستعارة.
- الإلتفات.
- التقابل.
- التفريع.

ج- أما عبارة "السور المكية" فكان لها النصيب في الجانب التطبيقي في كل فصل من الفصول المذكورة، حيث أخذ المؤلف آيات قرآنية تضمنت أساليب حجاجية تداولية وأخرى بلاغية، ثم تعرّض لها بالتحليل والإسقاط على ما تم تنظيره في الجانب النظري.

إن الانسجام والتطابق التام بين عنوان المؤلف ومضمونه ينمّ عن براعة الكاتب وحرصه على انسجام مؤلَّفه، وتمكّنه من منهجية البحث، التي تجعل الكتاب سائغ المحتوى سهل المنال.

ثانيا: المضمون:

أ- المادة المعرفية المستحضرة: إن اعتماد المؤلف على أمهات الكتب من مصادر ومراجع ومعاجم عربية وغير عربية أعطى لمضمونه مصداقية رفيعة، زادت من القيمة المعرفية والعلمية للمادة المدروسة، إذ من بين أقدم الكتب التي تطرّقت لموضوع الخطاب والحجاج كتاب أرسطو "البلاغة" حيث يعدّ مرجعا للفلاسفة واللغويين، هذا من جهة، أما من حيث الجانب التطبيقي فكان اللمسة التي أعطت لمضمون المؤلَّف قوّة وحجية لا يمكن لعاقل الطعن فيها، وهي التطبيق على السور المكية.

ب- من حيث الشواهد: لقد ذكرنا فيما سبق أن الجانب التطبيقي كانت مادته القرآن الكريم، إذ إنّ المؤلّف كلما تطرّق إلى عنصر من عناصر الفصول إلا وأمطر علينا الشواهد

القرآنية، التي لا مجال للنقد فيها، إضافة إلى اهتمامه بتأصيل التفاسير المتعلقة بالآية الشاهد اعتمادا على جملة من أبرز وأبرع كتب التفسير مثل "تيسير التحرير" لمحمد أمين البخاري، وكتاب "التفسير الكاشف" للعلامة محمد جواد مغنية، وكتاب "تفسير التحرير والتنوير" لصاحبه محمد جواد مغنية، وكتاب "تفسير التحرير والتنوير" لصاحبه محمد الطاهر بن عاشور، وغيرها، حيث أن تفسير الآية يكسب صاحبها عدّة أمور أهمها المقصود والعبرة وسبب النزول... إلى غيرها، فيسهل تفسير سبب استخدام مختلف الروابط والعوامل الحجاجية... هذا من الناحية التداولية، كما يبين لنا الحكمة من توظيف مختلف الاستعارات الحجاجية والتنبيهات من الناحية البلاغية.

ت- الهوامش: ما لاحظناه عند تتبعنا لكثير من المراجع المسجلة في هوامش الكتاب أن:

- الكاتب قد أكثر من استخدام المراجع المختلفة اللغات والقيمة.
- أن الكاتب كان دقيقا فيما يأخذه من المراجع إذ أن أغلب الاقتباسات كانت تخدم الموضوع الفرع بامتياز.
- أن الهوامش المعتمدة صحيحة، حيث لم نجد إلا إحالة واحدة غير موجودة في المرجع المشار إليه في التهميش، وهو كتاب "الخطابة" لأرسطو، إذ ترجيحنا للمسألة هو اختلاف في الطبعة أو ما شابه، رغم أنه لم يسعفنا الوقت الضيق مقارنة بحجم البحث من تتبع كل التهميشات ولكن كان أغلبها.

2- إبراز الإضافة النوعية التي جاء بها المؤلف:

إن مما أخذناه على المؤلف أن صاحبه تناقض في المقدمة، حين حصر أهم الصعوبات في قلة المراجع من جهة، ومن جهة أخرى في قائمة المصادر والمراجع، نجده قد استخدم كما هائلا من المراجع، مما يفوق مائتي (200) مصدر بين (الكتب، المجلات، رسائل دكتوراه، والماجستير...).

هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن تمكّنه من جمع المعلومات المختلفة من المراجع المتعددة، وظّفها في قالب لم يجبره على الخروج عن خطة البحث، ينمّ على كثرة عناءٍ ووفرة جهد أثناء البحث، وهذا ما رفع القيمة العلمية للمؤلف، إذ جمع كمًّا معرفياً كبيرا دون إهمال نوعية المعارف أو قيمتها العلمية.

إن أفضل ما يحسب للمؤلف في هذا الكتاب هو كون كتابه كتابا جامعا مانعا، إذ أنه حدد هدف الدراسة من الجانبين النظري والتطبيقي، فحقّق الهدف المنشود دون نقص من جهة، وكما لم نجد في بحثه زيادة عن مخطط بحثه، مما أكسب الدراسة دقة ترفع قيمة المؤلف.

كثير من الكتب والمؤلفات تتقاطع معه في نفس المعارف، لكن هذه المؤلفات دراستها جزئية مقارنة بالكتاب الذي بين أيدينا، فمن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر:

- "الحجاج في النص القرآني" لصاحبه: "هاني يوسف أبو غليون".
- "الإيضاح في علوم البلاغة، لصاحبه: "جلال الدين محمد بن عبد الرحمن".
- الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه"، "هاجر مدقن".

وغيرها، إذ إن الملاحظ في كثير من المراجع التي تنتمي إلى نفس مجال الدراسة يجد فصلا في المؤلف، إن لم نقل مبحثا، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على اتّساع دائرة البحث لدى صادق متى كاظم.

4- الاعتراضات والانتقادات الموجّهة للكاتب والكتاب:

إنّ مما لفت انتباهنا أثناء هذا البحث أن العديد من المراجع التي اعتمدناها في التحقق من المعارف والأفكار المطروحة في الكتاب، هي نفسها استخدمت كتاب "أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية: أي المؤلف نفسه كمرجع، وعلى طول بحثنا لم نتصادف مع مقال أو مجلة تعرّضت للمؤلف أو المؤلف بالانتقاد أو الاعتراض، ومردّ ذلك حسب رأينا –وهو خاص بنا- لعدّة احتمالات وهي:

أ- من الجانب النظري:

- اعتماده على مصادر قديمة وذات محل إجماع عند أهل الاختصاص.
- إتقائه المسائل الخلافية في بحثه، فقد ركّز على مسائل ذات إجماع.

ب- من الجانب التطبيقي:

لقد اعتمد من القرآن الكريم شواهدا أثبت بها دراسته، حيث إبطال بعض الأحكام التي طرحها تستوجب إبطال تفاسير النصوص التي اعتمدا، وهذا ما يجعل مهمة الناقد صعبة، لأنه يجد نفسه أمام تحديين صعبين الثاني أصعب من الأول:

الأول: نقد أفكار الكتاب في حد ذاتها.

الثاني: نقد التفاسير المعتمدة، وهذا ما يلزم صاحب النقد تقديم البديل... والله أعلم.

والله سبحانه وتعالى هو الموفق.

خَاتِمَةٌ

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعونه تذلل الصعوبات وبأمره انفلق البحر وصعقت الجبال الشامخات، الذي وفقنا في هذا البحث أو هذا الدراسة للاستفادة مما يلي:

- تعرّفنا على مفاهيم مختلفة حول فن الحجاج والمصطلحات المقاربة والمتعلقة به كالخطاب والنص.
- تعرّفنا على تاريخ الاهتمام بالحجاج عند الغرب والعرب، وخاصة عند عودتنا إلى كتاب (تاريخ نظرية الحجاج) من تأليف "فيليب بروتون وجيل جوتيه" الذي ترجمه الدكتور محمد صالح ناجي الغامدي في مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، إذ أن الاهتمام بمجال الحجاج قديم قدم اللغات، إذ تعلق بظهور النظريات الفلسفية في الخطاب والإقناع والتأثير خاصة عند الفلاسفة الإغريقيين كسقراط وأرسطو صاحب كتاب الخطابة...
- أن السور المكية كونها موجهة لمناقشة المشركين وتقويم انحرافاتهم، مما اقتضى أن يكون الخطاب القرآني المكي خطابا حجاجيا في الغالب يهدف إلى العلمية التأثيرية والإقناعية.
- من أهم خصائص الحجاج في القرآن الكريم أنه قبل أن يقنع المتلقي بحجته يقوم بهدم الأفكار والرواسب ذات العقائد الفاسدة التي تحول دون وصول الحجة.
- من أهم آليات القرآن الكريم في الإقناع بناء على الحجة على مسلمات لدى المتلقي لا يمكنه إنكارها كقوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ**

كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (39)﴾، [سورة الزمر، الآيتين: **38-39**].

- الله تعالى في خطاب دائم مع البشر، مستمر لا ينقطع في ذلك، ويظهر ذلك من خلال تنوع المخاطبين في القرآن الكريم: فهناك مخاطبون عامون: وهم عامة الناس على اختلاف زمانهم ومكانهم وفي بعض الأحيان حتى على اختلافهم من مؤمن وكافر، فنجد قوله: "يا أيها الناس"، "يا أيها الذين آمنوا"، وحتى "يا أيها الكافرون". وهناك مخاطبون خاصون: في حين يخاطب الله تعالى عباده المؤمنين، فيوجه سلوكهم ويصحّح عقائدهم ويثبتهم على أمرهم مثل قوله: ﴿**قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾، [سورة الزمر، الآية**53**]، وهناك خطاب أخص: وهو ذلك الخطاب الموجه للأنبياء والمرسلين، وربما أقوامهم.

- أن الروابط الحجاجية ترتفع بالخطاب من الوصفة الإخبارية التواصلية إلى الوظيفة الحجاجية.

- تختزل العوامل الحجاجية في الخطاب القرآني عموما، والمكي خصوصا الحجة والنتيجة معا، لأنها تدل دائما على ديمومة واستمرارية الحجة في القضية مما يفضي للصول إلى النتيجة.

- المسار التصاعدي من الحجة الأبعد إلى الأقرب يحقق بنية حجاجية تدفع المتلقي إلى الإذعان والتسليم للحجة.

- البعد الدلالي الذي تقدمه الأفعال الكلامية في النص المكي يحقق غاية إبلاغية لا تتحقق إلا بالحجاج.
- إن ظاهرة التكرار تهدف إلى شد إتباع المتلقي إلى فحوى الخطاب المتضمن في التكرار ودعوته إلى التأمل في طياته مما يحقق تأثيرا يدفع المتلقي للإذعان والتسليم بالحجة.
- هناك فرق بين التشبيه والتمثيل والعلاقة بينها أصل وفرع أو تابع ومتبوع، خاص أو عام... فهي تمثيل حجة بالغة لأن المرسل يستخدم مثالا يعتبر مسلمة عند المتلقي، مما يكسب التمثيل مسارا تأثيريا.
- هناك فرق بين الاستعارة الحجاجية والبلاغية، فالأولى غايتها الجمال والقدرة على حقّ الكلام وسبكه وحبكه، أما الثانية فغايتها التأثير والإقناع.
- أما الالتفات فيعتمد على الاستجابة لأفق انتظار المتلقي من خلال سرعة ومرونة الانتقال به من أمر إلى أمر، مما يسهل التأثير فيه.
- إن التضاد الذي يقوم عليه مبدأ المقابلة يحقق غاية حجاجية ذات قيمة تأثيرية، فالحق قد لا تكون محض اهتمام المتلقي، ولكن عندما تذكره ببشاعة الباطل وخطره يلزمه البحث عن النقيض وهو الحق.
- إن الانتقال من العام إلى الخاص ومن الإجمال إلى التفصيل يأخذ بيد المتلقي إلى النتيجة بطريقة سلسة، خاصة إذا كان العام نتيجة والخاص المنجز أحجا مرتبة تحمل في طياتها دلائل الإثبات، وهذا ما يسمى بالتفريغ.

أما النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث فكانت كالآتي:

- أن للخطاب وظائف غير الإبلاغ والتواصل أهمها الحجاج.
- الهدف من الخطاب الحجاجي هو إقناع المتلقي والتأثير فيه.
- للخطاب الحجاجي عدة أنواع أهمها: التداولي والبلاغي.
- الخطاب الحجاجي والتداولي يعتمد على عدة مبادئ أهمها: الروابط الحجاجية، السلالم الحجاجية، العوامل الحجاجية.
- الخطاب الحجاجي البلاغي يستخدم أدوات ووسائل بلاغية حجاجية تختلف عن الوسائل البلاغي العادية، فمثلا: هناك فرق بين التمثيل الحجاجي والتشبيه البلاغي.
- أن أغلب مواضع الحجاج في القرآن الكريم كان في السور المكية كونها موجّهة لمناقشة انحرافات المشركين.

هذا وإن أحسنّا فمن الله وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

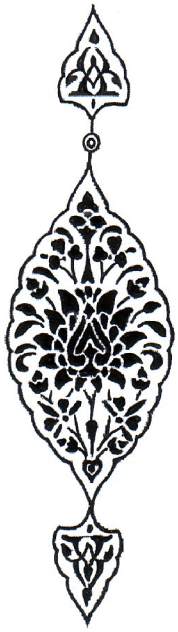

مَكْتَبَةُ البَحْثِ

مكتبة البحث

القرآن الكريم برواية حفص.

المصادر والمراجع العربية:

1. ابن فارس، مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ط.2، ج.1، 295، مادة خ ط ب.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، ج.1، 2000.
3. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط.1، 2006.
4. أرسطو، الخطابة، ترجمة عربية قديمة، وكالة المطبوعات ودار القلم، بيروت، ط.1، 1979،.
5. الجاحظ، البيان والتبيان، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1423 هـ، ج.3.
6. الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1983، ج.1.
7. الزمخشري، أساس البلاغة، تح. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م، ج.1.
8. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان، والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ط.1.
9. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ط.1، ج.3.
10. حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، دار إفريقيا الشرق، 2004، الدار البيضاء، المغرب
11. دروس في البلاغة العربية (نحو رؤية جديدة)، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، 1992، بيروت

12. صادق مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تطبيق وتنظير على السور المكية، ط.1، دار عدنان، لبنان، 1436هـ-2015م

13. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط.1. 1998.

14. عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار منشورات الأمان للنشر، ط.1، 2013.

15. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح. محمد شاكر، مطبعة المدني، بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م.

16. عبد الكريم مجاهد، دراسات في اللغة والنحو، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط.1، 2006.

17. عبد الهادي بن طافر الشعري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة، ليبيا، 2004، ط.1.

18. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط.1، 2011.

19. فضل حسن عباس، البلاغة وفنونها وأفناها (علم المعاني)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط.4، 1997.

20. كمال أوقاسين، أصول الفقه، دار الإتقان، 2009، ط.1.

21. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر.

22. محمد أمين البخاري، تيسير التحرير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ودار الفكر، بيروت، 1996، ط.4، ج.2.

23. محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، دار الكتاب الإسلامي، 2005، ج.7.

24. محمد خطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي للنشر، ط.1، 1991.

25. محمد علي التهانوي، كشاف الاصطلاحات والفنون والعلوم، تح. رفيق العجم وعلي دحروج، ط.1، ج.1.

26. محمد يونس علي، مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط1، 2004.

27. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، 2015.

28. مصطفى الصاوي الجويني، المعاني-علم الأسلوب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.

29. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية للنشر، ج.12.

30. منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، إتحاد الكتاب العرب للنشر، دمشق، سوريا، 1990.

المراجع المترجمة:

31. بروتون فيليب وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر. محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العالمي، ط.1، 2001.

32. جوليا كريستيفا، علم النص، تر. سعيد حسن بحري، دار طوبا للنشر، ط.2، المغرب.

33. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر. محمد يحياتن، الجار العربية للعلوم، ط.1، 2008.

34. روبارت بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر. تمام حسان، عالم الكتب للنشر، ط.1، 1998.

المراجع الأجنبية:

35- Cambridge CAMBRIDJE Advanced Learnes, Dictionary, Combridje University Pres 2nd Pub, 2005..

36- Le grand Robert, Dictionnaire de le langue française, Paris, 1989.

الرسائل المخطوطة:

37. أسماء يسعد، ولامية مقرع، الآليات الحجاجية البلاغية في رباعيات عمر الخيام، مذكرة ماستر، جامعة أم البواقي، الجزائر، 2017.

38. حياة دحمان، تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجا، شهادة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012-2013.

39. خميسة وطار، حروف العطف في العربية وتطبيقات من القرآن الكريم، مذكرة ماستر، 2012.

40. زينب نمر، الروابط والعوامل الحجاجية في ديوان أمل دنقل، مذكرة لنيل الماستر، 2017، جامعة العربية بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، 2014-2018

41. هاني يوسف بوغليون، الحجاج في النص القرآني سور الحواميم أنموذجا، مخطوط ماجستير، جامعة مؤتة، 2018.

الدوريات:

42. ثابتي، الحجاج في رسائل بن عباد الدندي، مجلة الخطاب، دار الأمل، الجزائر، ع.2، 2006م، ص286.

43. رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج.40، ع.2، 2004.

44. عايد جدوع حنون، لعوامل الحجاجية في آيات الأحكام، مجلة أوروك، مج.9، ع.4، 2016.

45. عبد الرحمن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، تح. حسين مؤنس، ط.1، 1993.

46. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، ص44.

47. منصور جودي حمدي، السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب مقاربة تداولية، جامعة بسكرة، مجلة مقاليد، ع.13، 2017.

48. نعيمة سعدية، الربط حروفه ومعانية من منظور اللسانيات الحديثة، مجلة جامعة خيضر، بسكرة.

49. نور الدين بوزناشة، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجلة العلوم الإنسانية، ع.44، 1430هـ.

50. يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة المخبر، جامعة بسكرة.

المواقع الإلكترونية:

.WWW-ALMANY.COM .51

www.alnodom.com .52 موقع للدراسات وخدمات البحث العلمي .

فَهْـــرَسٌ

فهرس الموضوعات

بطاقة فنية

مقدمة.....أ

مدخل.....**1**

عرض ودراسة **7**

الفصل الأول:أسلوبية الخطاب الحجاجي **8**

المبحث الأول: مفهوم النص والخطاب والمقارنة بينهما **11**

المبحث الثاني: ملامح الخطاب الحجاجي.....**16**

المبحث الثالث: الخطاب الحجاجي ضوابطه وطبيعته **17**

المبحث الرابع: أنواع الحجاج.....**19**

الفصل الثاني: أسلوبية الحجاج التداولي **21**

المبحث الأول: الروابط الحجاجية **22**

المبحث الثاني: العوامل الحجاجية.....**32**

المبحث الثالث: السلالم الحجاجية **41**

المبحث الرابع: الأفعال الكلامية.....**53**

المبحث الخامس: التكرار.....**60**

الفصل الثالث: أسلوبية الحجاج البلاغي.....**64**

المبحث الأول: التمثيل **65**

المبحث الثاني: الاستعارة الحجاجية **68**

المبحث الثالث: الالتفات.....**71**

المبحث الرابع: التقابل.....**73**

المبحث الخامس: التفريع.....**75**

نقد وتقويم.....**77**

الخاتمة.....**83**

مكتبة البحث.....**88**

الفهرس.....**94**